مجلة البيان – العدد 50 ، شوال 1412هـ / أبريل 1992م

الافتتاحية

الداء .. والدواء

لم تكن الدعوة الإسلامية بحاجة إلى الــوحــدة والـتـعـاون والالـتقـاء على أهداف واضحة كحاجتها في هذه الأيام ، فالتحديات كبيرة وماكرة وخاصة بعد قـيـام مـا سمــي بالـنظـام العالمي الجديد ، فالغرب بعد انهيار الشيوعية كان لا بد له من عدو مشترك يكتل حولــه شعوبه ويشعرهم بالتحدي ، ولم يجد أمامه سوى الإسلام الذي جعلوه (فزاعة) يخوفون به الشعوب الأوربية الساذجة ، ويكتلون حولهم من يستطيعون من الدول والأمم .

أمــام هذه التحديات نجد التفرق والتشرذم يفتك بالعمل الإسلامي وبالمسلمين بشكل عام ، ومــا يصاحب هذا التفرق عادة من حسد وبغضاء وعصبية ، والأمثلة واضحة أمامنا في كل أنحاء العالم الإسلامي ، ولا نحتاج إلى عناء كبير لاكتشاف هذه الظاهرة وما أدت إليه من الضعف .

إن عدم وحدة العمل الإسلامي في الجهاد الأفغاني كان من أكبر العوامل في تأخير النصر، وهـــذا لا يخفى على الأخــوة المخلصين هناك ، ولكن عوامل التفرقة راسخة وتحتاج إلى عمل كبير وتضحيات وتنازلات ، وقـد سمـعـنـا أخيراً تصريح أحد زعماء الجهاد بدعوته للاندماج الفوري في المؤسسات العاملة وخاصة الجبهة العسكرية.

ومثال ثان من مصر حيث تكثر التجمعات الإسلامية ويكثر الجدل النظري حول مسألة أو مسألتين ، وتذهب السنوات ولم يتفق عليها .

ومثال ثالث موقف بعض الإسلاميين من أحــداث الجزائر الأخيرة ، فالذي حدث في هذا البلد كان كارثة بكل معنى الكلمة ، حدث لا يمـكـن أن يهـمــل أو ينسى ، فقد ضربت الدعوة هناك جهاراً نهاراً دون أن تقوم بأي عمل استفزازي للسلطة ، وليست القضية فقط قضية جبهة الإنقاذ ، فقد ضرب الإسلام في مصر في الخمسينات والسـتـيـنـات ثـم عـــاد والحمد لله ، وضرب في مناطق أخرى وعاد أقوى مما كان ، فنحن لا نخشى على الشباب المسلم هناك ، ولكن المأساة هي أنه لا يزال يعيش بـيـن ظـهـــرانينا أناس يتكلمون بلغتنا وعندهم الاستعداد لأن يخربوا البلاد ويشردوا العباد ، ويحطمـوا مستقبل الأمة في شبابها المتعلم المتدين ذي الأخلاق العالية .

ما هو موقف بعض الإسلاميين تجاه حدث كبير كهذا ، لقد تكلموا في الصحف والمؤتمرات بكلام أقل ما يقال فيه أنه جهل بمرامي الإسلام الكبرى في وحدة المسلمين وخاصة عندما يكون الصراع مع أعدائهم ، ففي مقابلة مع جريدة الحياة (6/3/1992) قال أحدهم :

"الذي حصل هو نوع من التقهقر لجبهة الإنقاذ ، أجريت الانتخابات بطريقة لا يمكن أن يتحقق من ورائها الاستقرار ، لا بد أن نفتح حواراً مع السلطة التي جاءت وفرضت الأمر الواقع ، ممكن للدولة أن تقلم أظافر أما كم الأفواه فلا" .

هذا رأي مـــن لا يعرف حقوق الأخوة ولا يفقه في سياسة الناس شيئاً ، وصنف آخر انتقد الجبهة لأنها تعمل في السياسة ، وتدافع عن نفسها ، وأن الذي في الجزائر الآن هو مجرد عاطفة وليس هناك أي تربية . ونقول لهؤلاء الإخوة : أهذا وقت اللوم والنقد وإخوانكم في السجون والمعـتـقـــــلات في الصحراء ، أم وقت النصرة والتأييد ، وللنقد البناء والمناصحة والمشورة وقت آخر، ألم يخرج ابن تيمية مع كل مشايخ دمشق - وفيهم الكثير من خصومه وحساده الذين أســـــاؤوا إليه وكادوا له - لمقابلة ملك التتر (قازان) وحتى يكون الموقف موجزاً ، ألم ينضم علـمــاء السنة لحركة أبي يزيد الخارجي في قتاله للعبيديين الباطنيين وقالوا : نكون مع أهل القبلة ضد أهل الكفر ، وإذا كنا ننعى على التعصب المذهبي فلماذا لا ننعى على التعصب الحـزبـي والإقـلـيـمي . أو ما شئت من أصناف التفرق الذي جاءت النصوص بالنهي عنه والتحذير منه والعقلاء من الأمم يدركون أخطاره .

وفي ندوة أحد المؤتمرات الإسلامية انتقدت الجبهة الإسلامية من قبل أحد المتباكين على الديمقراطية ولا ينتقد النظام الذي يزج بالآلاف في السجون..

إن ما ينقصنا هو فقه السياسة الشرعية في الوحدة ووسائل الوصول إليها ، والقرآن والسنة طافحان بالدعوة إليها ونبذ التفرق ، أم ننتظر ليأتينا كاتب غربي (1) ليقول : "إن سبب صـعـــوبـــــة حسم الخلاف بين المسلمين عدم وجود مؤسسة مركزية تصدر توجيهات لكل المسلمين.." .

الهوامش:

1- في مقال نشر في مجلة دير شبيغل الألمانية للكاتب اودو شتاينباغ .

قراءة في مجلة المنار
سر تقدم الأمم

عبد القادر حامد

هناك قسمان من العلماء : قـسـم يعنـي بالأمـــور الكلية الأساسية التي تتفرع عنها القضايا الجزئية ، وآخر يشغل نفسه بالقضايا الجزئية الـتـي تأكـــل عـمـــره وجهده . فبينما يرى الفريق الأول أنه من العبث إصلاح الفرع بينما الأصل فاسد لا سبيل إلـى معالجـته ؛ يرى الفريق الثاني أنه إذا صلحت الجزئيات فإنها ستشكل بمجموعها مجموعاً صالحاً يضـغـط لإصلاح الأصل ،

لأنه من الصعب تجاهل هذا الضغط الذي يتحول إلى قوة جبارة لا سبيل إلى مقاومتها . وقد يغرق هذا الفريق في الجزئيات ولا يعنِّي نفسه بهذا النقاش أصلاً ، لأنه يكون غير قادر إلا على هذا، ولا يملك ما يؤهله على الاستشراف والنظرة الكلية الشمولية.

وقد كان رشيد رضا ممن تشغله الأمور الجوهرية في بناء الأمم ، وتعنيه الأسباب التي بوجودها يتقدم المجتمع ، وبفقدانها يتخلف ويطويه الجهل ويضربه الذل . وقد حرص على أن يقدم رؤيته في ذلك منذ أنشأ مجلته . ولذلك فإننا نعثر في فاتحة العدد الثاني الصادر في 29 من شوال سنة1351 هـ(22/3/1898 م) على مقال مكثف يضمنه هذه الرؤية عن طريق حوار بينه وبين جمع من الناس .

وأول ما يلاحظ في هذا المقال شعوره بأهمية الكشف عن أسباب سعادة الأمم وتقدمها، وعوامل تخلفها وانحطاطها ، وقد بين بادئ ذي بدء أن التقدم والتخلف ليست أقداراً ثابتة ولا أوصافاً موروثة لا سبيل إلى تجاوزها ، "فالاستعداد الفطري والقوى الطبيعية في تلك الأمم واحدة ، وأن اختلاف الحالات لم يأت من اختلاف المدارك ، والتفاوت في الاستعداد.. وإنما جاء من أمور عارضة، وظروف خارجية..". وبذلك يعطي بحثه وتحليله نتيجة إيجابية فما دام مرجع سعادة الأمم وشقائها "أموراً عارضة وظروفاً خارجية" فسيكون من الممكن البحث عن هذه الأمور العارضة ؛ والتحكم في الظروف الخارجية.

وأول ما يراه رشيد رضا حوله هو هذه السلبية والتواكل وفساد الاعتقاد التي ألبسها المسلمون ثوب الدين، وهي ليست إلا بدعاً وأمراضاً قاتلة قضت على الإسلام بالتشويه، وعملت على قتل عناصر الحيوية والطموح عند المسلمين. فقد أصبحت نظرة المسلم إلى الكون والعالم خليطاً من أفكار القدرية والجبرية والمرجئة . فبينما ينظر المسلم إلى المسائل العامة والمصالح الوطنية بجبرية وتسليم يتجلى في جواب المصري حين يناقش في تلك القضايا : "هو بيدنا إيه" ! وجواب الشامي : "شو طالع باليد" . ويحيل نتائج العجز على الله ،وربما استشهد على هذا السلوك الباطل بقوله تعالى : ((لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ..)) بينما حاله في المسائل العامة على هذه الصورة السلبية ؛ تراه تحول إيجابياً وفاعلاً فيما يخص شؤونه الخاصة وما يتعلق بمعيشته وهواه ، ويعمل على جلب النفع لنفسه ودفع الضر عنها بشتى الوسائل والأسباب بم ما كان مشروعاً ، وما لم يكن ، ولو أن يلجأ إلى عالم الجن والشياطين ، ويستعين بالأموات ، ويطلب مشورة السحرة والعرافين والمشعوذين .

وهكذا جمع المسلمون في عصورهم المتأخرة بين أطراف رؤوس البدع ، فأصبحوا جبرية فيما يخص المصالح العامة ، وقَدَرية لا يؤمنون بالقدر عند مصالحهم الخاصة .

وقد طرح أسئلة يبرز مـــن خــلالها فكرته عن السر الذي يحوّل الأمة من حال الشقاء الى حال السعادة ، وعرض من خلال هذه الأسئلة تصوره للمشكلات التي يعيشها المسلمون في عصره ، ثم حدد جواباً واحداً لمجموع هذه الأسئلة ، وهذه الأسئلة هي :

1- كـيـف يحـصــــل التجاذب والالتحام بين العناصر المتفرقة في الأمة لتكون منها أمة واحدة؟

2- ما الذي يمحو الأثرة والفردية من نفوس أفراد الأمة ، حتى يرى كل فرد مصلحته في مصلحتها، ومضرته في مضرتها؟ وهـــذه الأثـرة والفـردية قد أصبحت مرضاً في المجتمع الإسلامي، فانفرط عقده، وأصبح الناس فيه: "بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى" .

3- كيف تـعــــاد الثقة إلى الفرد والجماعة بأن الله لم يحرم جماعة من الجماعات من المواهب الفطرية والعقـلـية ، بل إن هذه المواهب والقدرات مودعة وكامنة فيها كمون النار في الزِّناد ، ولا ينقصها حتى تظهر إلا أن تستعمل فيما خلقت له ؟

4- ما السبيل إلى انتزاع اليأس والقنوط من نفوس الذين يستبعدون الشقة بينهم وبين الأمم المتقدمة ؟ ويشملهم ذلك اليأس عن الحركة ؟

5- كيف يمكن إقناع أهـــل التقليد الأعمى بخطأ ما هم عليه من التقليد بالمظاهر وثمرات الحضارة فـقـــط؛ من تشييد القصور، وتزيينها وفرشها بالغالي من الأثاث الذي أنتجته الشعوب المتقدمة ، مما يعود بزيادة الفقر والإفلاس على الأمم المتخلفة ؟

6- ما سبيل النجاة من سطوة العادات التي يحملها المتغلّب ؛ وسبيل الإبقاء على الدين واللغة والعادات النافعة التي يسلِّط هذا المتغلب قواه ضدها ، وكيف لا نأخذ العبرة في مجال حفظ لغتنا العربية من اليهود ، الذين احتفظوا بلغتهم مع ما ابتلوا فيه من الذل والمسكنة والضعف وفقدان السلطة ، والتشتت في الأرض ، ومع ذلك ظلوا يتكلمون ويقرؤون كتابهم بالعبرية، ولم يمنعهم من ذلك معرفتهم لغات الشعوب التي عاشوا بينها.

وكيف لا نجد هذه الغيرة على لغة القرآن من المسلمين وبخاصة من أكثر شيوخ العلم في بقاع العالم الإسلامي الذين إن ناشدتهم بذل الجهد ومضاعفة الوسع والتحرك في الحفاظ على اللغة العربية ، تملصوا بالاحتجاج بأن الله حافظ دينه وكتابه حيث قال : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) .

7- كيف نتخلص من عاداتنا الرديئة التي تمكنت منا حتى صار يحسبها الكثيرون أنها من الدين وهي ليست من الدين في شيء ؟

8- ما السر الذي يجعل اختلاف رجال العلم والسياسة في أمم أوربا مثمراً ، والمحن التي تمر بهم يستخلصون منها النتائج الإيجابية والدروس النافعة ؛ على حين نرى اختلاف أمثالهم من رجال العلم والسياسة المسلمين اختلافاً عقيماً وتنازعاً مهلكاً ، ولا يكادون يجنون مما يمر بهم من الفتن إلا فتناً جديدة وخلافات تعصف بالجهود ويعاني من ثمراتها الصغير والكبير ، والغني والفقير ، والجاهل والعالم ؟
9- ما الذي يغسل النفوس من الوهم الذي يجعلها تخاف مما لا يخيف ، وتتطلع إلى ما لا فائدة منه من الأفكار والأشخاص ؟
10- ما القياس الذي يقاس به النفع والضرر ، ويميز به بين المجد الصحيح والمجد الكاذب ، وبذلك يمكن أن توجه النفقات الطائلة التي تنفق على المظاهر الفارغة ، كالولائم والمآتم وما يتعلق بها من تشييد القبور.. إلى التربية والتعليم والأمور التي تعود بالنفع العام ؟
11- ما هو الدواء الشافي لأمراض الفساد والمآثم والموبقات ؟
12- متى يمكن القضاء على الأمراض الجسدية والأوبئة أو التقتيل منها على الأقل ؟
13- كيف نعمل على رفع نسبة الدخل القومي للأفراد في أمة يوجد فيها قلة من الأغنياء - وأكثرهم حصل على ثروته من طرق غير مشروعة - وكثير من الفقراء فقراً مدقعاً ؟
14- كيف تتحسن الزراعة ، ولماذا كان أهالي فرنسا ونيوزلندة أكثر ثروة زراعية من أهل مصر ، مع أن أرض مصر أخصب. ، ورجالها أكثر صبراً وجلداً على العمل ، وعندهم النيل الذي ليس له في العالم نظير ؟
15- كيف يمكننا إتقان الصناعة والتفنن في تنويعها حسب حاجات الأمة لتحفظ ثرواتها من استغلال الأجانب لها ، وجعلها دائماً عالة عليهم ؟
16- ما هي الطريقة للنهوض بالتجارة التي هي بمثابة إدارة لثمار الزراعة والصناعة ؟
17- كيف لنا أن نتحرر من سيطرة الأجانب على أبسط المرافق العامة كالماء (احتكار شركات أجنبية في ذلك الوقت لتوريد ماء النيل ونهر الكلب في بيروت ، مما يدل على انحطاط أمة تسمح بهذا ، ومما لو وجد خبره في كتب التاريخ القديم لكان من الخرافات والأساطير وهذيان القصاص الذي لا يصدق!)
18- كيف حصلت دول مثل انكلترا وفرنسا وغيرها من الدول المسيحية على القوة التي مكنتها من احتلال وإخضاع تلك الممالك الشاسعة في جنبات الأرض ؟
19- كيف يتسنى لنفر قليل الاستيلاء على شعب كبير يصرفونه في مصالحهم ويستخدمون أفراده كما تستخدم الدواب ، ويديرونه كما تدار الآلة الصماء ،

وهو لا يعرف سبب هذه السلطة وقد لا يفكر في ذلك أصلاً كأنما فقد العقل والشعور ؟
20- كيف تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية أن تتحرر من حكم الإنكليز ، وأن تتحد تحت لواء واحد ، وتصبح قوة تخشاها أوربا ؟(1)
21- وباختصار: ما الآلة الرافعة للمتطوحين في مهاوي التعاسة والشقاء للخروج مما هم فيه وتحسين أحوالهم حسياً ومعنوياً ، ديناً ودنيا ؟
كانت هذه جملة الأسئلة المنتزعة من الواقع المعاش في ذلك الزمان وقد عرضناها جميعاً ليدرك قارئ اليوم بالمقارنة كم من تلك الاسئلة ما زال يبحث عن جواب ؟ وقد حاول رشيد رضا الرد على ما اعتقد أنه مزاعم قد يظن أنها تمثل إجابات أو حلولاً للمشكلات التي تعكسها هذه التساؤلات ومن ذلك :
الزعم أن سر التقدم والخروج من مأزق التخلف يكمن في الأمراء والحكام . فلو افترض أن الحكومة غنية ، ورعاياها فقراء فقراً مادياً وأدبياً وأمكن هذه الحكومة أن تجري الإصلاحات المادية جميعها ، فهل تستطيع أن تقتلع من نفوس الأمة الأخلاق السيئة والعادات الرديئة وتزرع فيها ضدها من الأخلاق الفاضلة ؟ كلا. وهو ينعى على ما صار إليه أمر المسلمين من هذا الاعتماد الكامل الشامل على الحاكم ، حتى أصبحوا لا يرون لأنفسهم وجوداً إلا بالحكام ، ويرون أن صلاح الأمة وفسادها ، وغيها ورشادها وصحتها ومرضها ، وغناها وفقرها ، بل محياها ومماتها كل ذلك بيد الحاكم ، كأن بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، وكأن هذا الوهم متسلسل فيهم بالإرث من عهد من قال : "أنا أحيي وأميت" وعهد من قال : "أنا ربكم الأعلى"(2) وجهلوا أن الحاكم ليس إلا رجلاً من الأمة ، وأن الحاكمية ما زادت في فضائله ، ولا منحته قوة فوق القوى البشرية ، بل ربما أفسدت أخلاقه وأسقمت مداركه.." نعم ، إن الحاكم إذا ساعد الشعب يكون الإصلاح أسرع وأقرب إلى النجاح .
زعم طائفة أن الطريق لنهضة الأمة هو تسليم أمرها إلى الأجانب حيث هم - على عيوبهم - أقدر على بسط العدل ، ومحاربة الرشوة ، وغل أيدي المتسلطين ، وإنشاء المرافق الحديثة التي يعود خيرها على المجموع.. وهذا الزعم كثير التردد منذ ذلك الوقت إلى اليوم ، فكثير من الناس يتمنون الآن أن لو عاد المستعمر - فرنسياً أو إنكليزياً أو أمريكياً - وخلص البلاد والعباد من الظروف المأساوية التي تلفها ، وكثير من المخضرمين الذين عاصروا مرحلة الاستعمار ومرحلة ما سمي بالتحرر آل بهم الأمر إلى أن "يترحموا" على عهد المستعمرين ، ويحنوا إلى ذلك العصر الذي لم يذوقوا منه ما ذاقوه على أيدي أبناء جلدتهم . ولماذا نذهب بعيداً ونحن نرى شعوباً وجماعات بكاملها تستنجد بأمريكا وبريطانيا وفرنسا وبالعفاريت والشياطين لتنجو من سوء ما وقعت فيه من جور وظلم ونكبات ؟!

لكن رشيد رضا يسفِّه هذا التفكير ، ويعده استشفاءً من الداء بداء أقتل منه . وهو أن ساسة هذه الأمم قد تربوا في بلادهم على حب أوطانهم ووقفوا حياتهم على نفع أمتهم ، وأصبح ذلك طبعاً فيهم ، وأن ما يبـدو من أعمالهم نفعاً للشعوب والأمم الأخرى في الظاهر ؛ إنما باطنه مضاعف النفع لأممـهـم ، لأن تصرفاتهم تقوم على مبدأ "النفعية" الأنانية المقيتة ، ويدرك ذلك كل ذي لبّ ، فــلا ينشرون من المعرفة في غير بلادهم إلا ما يؤدي إلى حبهم واعتقاد عظمتهم ، ويفسد على الآخرين لغاتهم وأديانهم وتاريخهم وثقافاتهم . ولا يقدمون من المعونة لغيرهم باليمين إلا لـيــأخذوا أضعافاً بالشمال ، فمثلهم كمثل الذي يعطي كِسرة خبزٍ ليأخذ رغيفاً ، وقد يعملون عـلى جلب الرخاء والرفاهية لأمة من الأمم بعد فقر وشدة ، ولكن أي رخاء وأي رفاهية ؟ الرفـاهـيــة التي تزيد في الكسل والترهل ، وتسخر الكثرة لخدمة القلة .
رد رشيد رضا أيضاً على زعم من يزعم أن الصحافة هي المخرج ، وبين أن الصحافة -.مع مالها من شأن عظيم وأهمية لا تنكر- لكنها لا توجد المدنية بل هي أثر من آثارها وثمرة من ثمراتها .
وبعد أن استنفد ما يُتَصور من الأجوبة وناقشها ختم بجواب هو عنده الوسيلة الصحيحة التي ترجع إليها كل الأسباب لتحقيق التقدم والارتقاء وهو "تعميم التربية والتعليم" بين أفراد الأمة . فهل هذا هو الجواب الفاصل؟! قد لا يكون هناك إجماع على هذه النتيجة التي وصل إليها ، فقد عممت التربية والتعليم ، وأصبح التعليم مجانياً لدى أكثر الشعوب العربية ، وكثر الأطباء والمهندسون والخبراء ، فهل أدى ذلك إلى التقدم الذي نشده رشيد رضا من التربية والتعليم ؟ لا أحد يرى ذلك .
أين الخلل إذن ؟ هل هو في المناهج التعليمية ؟ أم في الإدارات التي تديرها ؟ أم في المصدر الذي يوجه هذه الإدارات ، ويرسم سياستها ؟ أم في علة أخرى..
الأجوبة كثيرة والحاصل واحد !

الهوامش :

1- لم تكن أمريكا حينذاك قد أصبحت قوة عظمى فاعلة على المسرح العالمي .
2- أي النمرود وفرعون .

خواطر في الدعوة

أزمتنا الأخلاقية
(2)

محمد العبدة

كم هو مؤلم للنفس أن يشكو إليك أخ مسلم حال بعض المنتسبين للدعوة فيذكر من جفائهم وبعدهم عن تطبيق ما يأمر به الإسلام من الرفق واللين والكلمة الطيبة ، والسؤال عن الحوائج وتفقد الأحوال ، والزيارة الأخوية ، ويتابع هذا الشاكي فيقول : "دخلت المستشفى فلم يزرني الإخوة الذين أعرفهم ، وزارني زملاء العمل الذين هم أقرب لأن يكونوا من عوام المسلمين ، وبعضهم يعرض علي المساعدة المالية ، أو أي خدمة يمكن أن يؤديها" .
ونحن نسمع ونرى كيف يخدم أهل الباطل بعضهم ، أو من يريدون وقوعه في شباكهم ، مع أن المسلمين هم أولى الناس بكل مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، ولا يجوز أن يسبقهم سابق في هذا المضمار ، وإننا نذكر المسلم بحديث : "اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما أحب"
وحديث العاهر التي سقت كلباً في يوم قائظ فغفر الله لها، وحديث المرأة التي عذبت في هرة لها حبستها ، وحديث الذي كان يقام عليه حد الخمر فلعنه أحدهم ، فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "لا تلعنه إنه يحب الله ورسوله" كما نذكرهم بقصة الإمام أبي حنيفة مع جاره السكِّير الذي كان سجن فشفع له أبو حنيفة حتى تاب وأناب .
إن من أسباب هذا الجفاء والجفاف عند بعض المنتسبين إلى الدعوة هو ضيق عطنهم، وجهلهم بحال المدعو وبطريقة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحاله في تأليف الناس وطريقة العلماء الربانيين من هذه الأمة.
ولذلك تجدهم إذا رأوا من هو مقصر في بعض السنن عاملوه بازدراء واستخفاف ، وقد لا يسلمون عليه إلا بصوت منخفض ، ولا يهتمون به ولا يحاولون استمالته بالكلمة الطيبة أو بصنع المعروف حتى يميل قلبه إلى محبه السنة وأهلها.
وهذا الذي ينظر إلى المقصرين بعين الازدراء وقع في داء أشد وهو العجب بالنفس والاستطالة على الخلق . وهؤلاء غالباً ما يقعون في الغيبة باسم النقد والتقويم . وهذا المرض أصبح فاشياً، فتُذكر معايب المسلم وقد لا تكون فيه، وأكثرها من الأوهام والظنون، ولا تسأل كذلك عن المكر الذي يستعمله بعضهم مع إخوانه ويعد هذا من الذكاء والكياسة، وينظر للمسلم الذي لا يستعمل هذا المكر على أنه مغفل مسكين .
وبعد هذا كله ، ألا يحق لنا أن تصف بعض جوانب أزمتنا بأنها أخلاقية ، وهي فرع ولا شك من تخالفنا العام الذي طال مكثه فينا ، ونحن نحاول من هنا وهناك الخروج من هذا المأزق ؟!

مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية

عثمان جمعة ضميرية

-1-

اقتضت حكمة الله وإرادته أن يجعل آدم وذريته خلفاء في الأرض ، ليقوموا بعمارتها وفق منهج الله تعالى وشريعته ، فيحققوا بذلك غاية وجودهم ، توحيداً لله وعبادة له وطاعة ؛ حيث قال -سبحانه وتعالى- :
((وَإذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)) [البقرة:30] .
((وهُوَ الَذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ ورَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ)) [الأنعام:165]
ولما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض لم يتركه لنفسه أو لعقله ، فهو يحتاج إلى عناية ورعاية ، ويحتاج إلى منهج وهداية ، وقد أكرمه الله تعالى بذلك ، فأنزل عليه الهداية الربانية والمنهج الذي تستقيم به حياته :
((قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * والَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [البقرة:38 - 39] .

-2-

ومنذ أن أوجد الله تـعــــالى البشر فطرهم على التوحيد والإيمان بالله تعالى ، وأخذ عليهم العهد والميثاق، مذ كانوا ذريَّة في ظهور آبائهم، ولذلك يأمرهم أن يقيموا وجوههم لله، وأن يخلصوا دينهم له ، فإنه مقتضى الفطرة ، وتحقيق للعهد ، وأداء للشهادة التي أشهدهم عليها :
((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطــرَ الـنَّــاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) [الروم:30] .
وعلى هذه الفطرة والتوحيد كانت البشرية الأولى قبل أن يـقـــــع الانحراف ، كانت على التوحيد والإسلام من وقت آدم إلى مبعث نوح ، وكان بينها عـشــــرة قرون ، كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ، ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله تعالى إليهم نوحاً ، فكان أول رسول ، ثم بعث الله بعده النبيين :
((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ وأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ومَا اخْتَلَفَ فِيهِ إلاَّ الَذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإذْنِهِ واللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)) [البقرة 213] .

-3-

ولا تستقيم حياة البشر إلا ببعثة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فهي ضرورية للعباد ، لا يستغنون عنها ، فهي بمثابة الروح للحياة والنور للهداية والإبصار ، ولذلك سمى الله تعالى ما أوحاه إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم

- : روحاً ونوراً ، فقال : ((وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ ولا الإيمَانُ ولَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا)) [الشورى:52] .
ولذلك بعث الله تعالى الرسل تترى ، كلما ضلَّت أمة بعث الله تعالى إليها رسولاً ، يقيم عليها الحجة ويقطع العذر ، ويبشرها وينذرها : ((إنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً ونَذِيراً وإن مِّنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ)) [فاطر 24] .
وهؤلاء الرسل هم الذين يحملون الشرائع للناس ويبينونها لهم ، ويبلِّغونهم البلاغ المبين ، فيعرّفون الناس بربهم معرفة صحيحة صادقة ، ويضبطون حركتهم الفكرية والعلمية بضوابط الوحي الإلهي ؛ إذ لا تستطيع العقول البشرية - مهما ارتقت - أن تستقلَّ بمعرفة ما ينبغي معرفته من مصالحهم العاجلة والآجلة ، ولا تستطيع معرفة أمور الغيب المحجوبة عنها ، ولا الأمور الدينية على وجه التفصيل . وهم أيضاً : القدوة الصالحة التي تتأسى بها البشرية ، ولهم الأثر الباقي الخالد في الحياة . وهم سبب كل خير ، وبرسالتهم ودعوتهم تقوم الحضارات .

-4-

ولما بلغ الكتاب أجله ، قضت حكمة الله تعالى أن تختم رسالات السماء برسالة نبينا - صلى الله عليه وسلم - ، فلا رسالة بعد رسالته ، ولا نبي بعده . وهذا يقتضي أن تكون دعوته خطاباً عاماً موجهاً للناس جميعاً ، وأن يكمل الله تعالى بها الدين ، وأن يتم بها النعمة ويجعلها ظاهرة على الأديان كلها ناسخة لها . وقد كان ذلك كله ، فأصبحت هذه الأمور خصائص لهذه الرسالة التي تكفل الله بحفظها عندما تكفل بحفظ أصلها المنزل حين قال : ((إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) [الحجر:9] ، ولذا فهو كتاب ((لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) [فصلت:42] .

-5-

ونهض رسول الله ، - صلى الله عليه وسلم - ، بأعباء الدعوة وصدع بها ، منذ أن أمره الله تعالى بذلك ، واستمر نزول الوحي عليه في مكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً ، لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في الدعوة والتجرد والإخلاص والتفاني ، والصبر والجهاد والمجاهدة ، والتربية الإيمانية العميقة . فنشأت - عندئذ - القاعدة الصُّلبة التي رباها النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى عينه ، يقود خطاها الوحي الإلهي في كل لحظة من اللحظات ، ويأخذ بيدها لتكون على الجادة من الطريق الطويل.. ثم انتقل بها إلى المدينة حيث تجد التطبيق العملي لمبادئ الإسلام كاملة، بعد أن أراد الله تعالى لأهلها الخير ، فساقهم ليبايعوا النبي - صلى الله عليه وسلم - بيعة العقبة التي كانت حجر الأساس في بناء الدولة الإسلامية ، التي عمل النبي - صلى الله عليه وسلم - لإقامتها بوحي من ربه -تبارك وتعالى- .

كل هذا ، والصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- يتلقّون من النبي - صلى الله عليه وسلم - أحكام هذا الدين وتعاليمه وآدابه : فيما يتعلق بالإيمان ومعرفة الله سبحانه ، وما ينبغي له من الطاعة ، وفي كيفية العبادة وأداء الشعائر ، وفي شتى أنواع المعاملات ومناشط الحياة الفردية والاجتماعية ، وفي جوانب الأخلاق والآداب والسلوك ، ثم في علاقة الأمة بغيرها من الأمم الأخرى.. كل هذا دون أن يكون هناك تقسيم لهذه الأحكام أو تصنيف لها أو تبويب على أساس أن هذا عقيدة وذاك فقه وعبادة ، والثالث اقتصاد أو سياسة.. إلى غير ذلك من هذه التقسيمات الحادثة - اليوم - للضرورة ، ودون أن يكون هناك تفريق بينها في الالتزام بها والعمل بمقتضاها. فهي كلها أحكام منزلة من الله ، ينبغي عليهم أن يتلقوها بالتسليم ، وأن يسارعوا إلى الامتثال والالتزام بها والتفاعل معها ، ليحققوا بذلك مقتضى إيمانهم بالله واستسلامهم لشرعه ودينه .
ولذلك نجد الإسلام والإيمان والإحسان في سياق واحد يعبِّر عن الدين كله ، كما في حديث جبريل الذي رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وفيه جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال ، وجعل الإيمان اسماً لما في من الاعتقاد ، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان ، أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام ، بل ذلك كله تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ، ولذلك قال : "إنه جبريل جاءكم يعلمكم دينكم" .
وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يدعو لهذا الدين بجملته ، لأنه لا يقوم بدين الله إلا من أحاطه من جميع جوانبه ، كما قال -عليه الصلاة والسلام- لجماعة من شيبان بعد أن عرض عليهم الإسلام . وهو ما يشير إليه جوابه لوفد ثقيف عندما وفدوا عليه ، وغدوا عليه أياماً ، وهو يدعوهم للإسلام كله دون أن يكون هناك استجابة لبعض ما يريدونه من مسامحة في أمور بعينها يريدونها !

-6-

فالدين الإسلامي - بما أنه منهج إلهي للبشر ينبغي أن يصرّف حياتهم ويوجهها - يشمل جانبين اثنين ، تتفرع عنهما سائر الجوانب الأخرى وتعود إليهما:
الجانب الأول : الأصول الاعتقادية ، أو الأساس النظري الذي يشكل القاعدة الأساسية في بناء هذا الدين ، ومنه ينطلق المؤمن ، ويضبط حركته كلها بضوابطه ، ويوجه سلوكه وأعماله بمقتضاه ، وهو يفسِّر له أصل نشأة الإنسان وغايته مصيره ويحدد علاقته بالوجود كله من الحياة والأحياء بعد أن يحدد له صلة بالله تعالى .

وهذا الجانب هو العقيدة التي تقوم على أصول نسميها أصول الإيمان وأركانه ، مما يجب أن يعتقد به المؤمن ويصدق به.. وتسمى الأحكام المتعلقة بهذه النواحي أحكاماً أصلية أو اعتقادية .
والجانب الثاني : هو النظام الذي ينبثق عن تلك الأصول الاعتقادية ويقوم عليها ، ويجعل لهذه الأصول صورة واقعية متمثلة في حياة البشر الواقعية . ، لذا فهو يحدد للمكلفين حدوداً في أقوالهم وأفعالهم - كما يقول الشاطبي - رحمه الله - فيبين كيفية عمل المكلف ، والإتيان به على الوجه الذي أمر به الشرع ؛ في الشعائر التعبدية والنظام الاجتماعي ، ونظام الأسرة ، والنظام الاقتصادي وفي قواعد الأخلاق.. وفي كل ما من شأنه تنظيم حياة الناس وارتباطاتهم وعلاقاتهم.. وتسمى الأحكام المتعلقة بهذه الجوانب كلها : أحكاماً فرعية أو عملية ، لأنها عمل متفرع عن الاعتقاد .
والعلم المتعلق بالجانب الأول من هذين الجانبين يسمى علم العقيدة أو أصول الدين . والعلم المتعلق بالجانب الثاني يسمى علم الشرائع والأحكام ، لأنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع ، ولا يسبق الفهم - عند الإطلاق - إلا إليها .

-7-

وإذا كانت العقيدة هي أصل البناء وأساسه ، فإن الشريعة تنبثق عن هذا الأصل وتقوم عليه ، بحيث يكون كل حكم من أحكام السلوك الإنساني ، في أي جانب من جوانب الحياة ، متفرعاً عن أصل من أصول العقيدة والإيمان ومرتبطاً به. فلا قيمة ولا استقرار لنظام لا يستند على أساس متين ، كما أنه لا جدوى من أساس ما لم نرفع فوقه بناء قوياً محكماً .
وهكذا تتعانق العقيدة والشريعة لتكوين هذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به ، وإن كان أحد الجانبين أعظم أهمية من الآخر ، فإن العقيدة هي الجانب الأعظم الذي أولاه الإسلام عنايته الكبرى أولاً في مكة المكرمة ، وهي مرحلة الإعداد والتربية والتكوين ، ثم استمر الحديث عن هذه العقيدة عندما بدأت الأحكام تتنزل على الأمة في المدينة ، بعد أن أصبح لها وجود فعلي وكيان مستقل ، بل كانت العقيدة هي الروح الذي يسري في هذه الأحكام ، فيهبها الحياة النابضة المتحركة .
وقد عرضت الأحكام الشرعية في جوانب الحياة ، حتى تلك التي تبدو وكأنها لصيقة جداً بالجانب المادي أو الجسماني البحت - من خلال العقيدة وارتبطت بالإيمان بالله تعالى ومراقبته ، وأحكام الشريعة بجملتها شاهد صادق على ذلك .

-8-

ولعله مـــــن نافلة القول ، أن نؤكد مرة أخرى على أن هذه التقسيمات السالفة للدين إلى عقيدة وشريعـــة وأخلاق.. إنما هي تقسيمات فنية اصطلاحية من أجل الدراسة والمعرفة، اقـتـضتها ضرورة التأليف والتصنيف

بعد نشأت العلوم واستقلالها بالتدوين . ولكن الغفلة عن هذه الضرورة تركت آثاراً سيئة في حس بعض الناس وشعورهم وواقعهم، حيث جعلتهم يظنون أنه يكفيهم أن يكونوا على عقيدة نظرية ، تستقر في قلوبهم ووجدانـهــم، دون أن يكون لذلك أثر في حياتهم ، أو دون العمل بمقتضيات هذه العقيدة ، ويحسبون أنـهـــم متـمـسـكون بهذا الدين حتى لو كانوا يستمدون تشريعاتهم في جوانب الحياة الأخرى من مصادر بشرية أو من مذاهب وأفكار أخرى لم يأذن الله بها .
ولـم تـكـــن هذه الآثار نابعة عن التقسيم إلى عقيدة وشريعة ، بحد ذاته ، فإن ذلك قسمة واقعية بيانية ، وإنما كانت هذه الآثار بعد أن بهت الدين في نفوس بعض الناس والتبست عليهم الأمور واختلفت المفاهيم . ولذلك كان من الغلو والإجحاف أن يجعل بعض الكاتبين هذا التقسيم مخالفاً لحقيقة الدين حيث يقول : "إن ثنائية تقسيم الدين إلى عقيدة وشريعة من أخـطـــــر الأمور التي جرّت آثاراً سيئة على ديننا الحنيف ، وذلك لأن هذا التقسيم مخالف لحقيقة الدين التي تقوم على أمر واحد ، وهو تأليه الله -عز وجل- وحده.." وإن كان دافعه لـهـــذا القول طيباً وحسناً ، إذ هو يريد أن يعيد للدين هيمنته وسيطرته على النفوس .

-9-

وبعد ؛ فحسبنا هذه الإشارات السريعـة التي جعلتها مدخلاً عاماً بين يدي دراسـة موجزة عن "علم العقيدة : تاريخ النشأة، وطرق التدوين"، أعــــرض خـطـوطـهـــا الرئيسية على صفحات "البيان" -إن شاء الله - لعل هذا الموضوع يأخذ حظّه من الدراســــــات العميقة المتخصصة على يد أحد الباحثين. ولعل بعض القراء الكرام يصحح خطأً أو يقوّم اعوجاجاً أو يقترح منهجاً للبحث فيما سأعرضه في هذه الصفحات المنتزعة من تلك الدراســـة التي أشرت إليها .
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

ردود الأفعال

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

إن "ردود الفعل" من الظواهر المرضية والمستفحلة في واقع المـسـلمين قديماً وحديثاً ، فما أن يظهر انحراف ما.. حتى يقابل برد فعل معاكس تماماً للانحـراف الـسـابق.. لكن يوقع في انحراف من نوع آخر!! ومن ثم تتكاثر تلك الانحرافات وتتشعب هذه الشطحات الواقعة بين إفراط وتفريط ، أو غلو أو جفاء .

إن ردود الفعل مسلك سلكه أهل الجهل والظلم.. كما هو ظاهر عند طوائف المبتدعة.. وقد هدى الله تعالى أهل السنة فجمعوا بين العلم والعدل، فهم يعرفون الحق ويرحمون الخلق، ومن ثم فقد سلموا من نتائج وعواقب تلك الردود ، وصاروا وسطاً وعدلاً بين تلك الطوائف المتباينة .
ومن المعلوم أن دين الله عز وجل وسط بين الغالي والجافي، يقول الشاطبي في هذا الـشــأن: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الأوسط الأعدل ، الآخذ من الـطـرفـين بـقـسـط لا مـيــل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تـكـلـيـف جـــار على موازنة تـقـتـضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال كتكاليف الصلاة، والصيام.. فـإن كـان الـتـشـريــع لأجل انحراف المكلف، أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين ، كان الـتـشـريــع راداً إلى الوسط الأعدل ، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فـيـه، فــعـــلَ الطبيب الرفيق يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته ، وقوة مرضه وضعفه ، حتى إذا ما استقلت صحته ، هيأ له طريقاً في التدبير وسطاً لائقاً به في جميع أحواله"(1) .
ولقد تفطن سلفنا الصالح لهذا المــزلق ، وأشاروا إليه ، فهذا خطيب أهل السنة ابن قتيبة يحكي أمثلة على ذلك فيقول :
"لمـــا رأى قـــوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء في القدر [أي في نفيه].. حملهم البغض لهم، واللجاج على أن قـابـلــوا غلوهم بغلو ، وعارضوا إفراطهم بإفراط ، فقالوا بمذهب جهم في الجبر المحض ، وجعلوا العبد المأمور المنهي المكلف لا يستطيع من الخير والشر شيئاً على الحقيقة.
وزعـــم آخرون تصحيح التوحيد ونفي التشبيه عن الخالق ، فأبطلوا الصفات مثل : الحلم والقدرة، والجلال ، والعفو وأشباه ذلك . فعارضهم قوم بالإفراط في التمثيل فقالوا بالتشبيه المحض: وكـلا الفريقين غالط ، وقد جعل الله التوسط منزلة العدل ، ونهى عن الغلو فيما دون صفاته من أمر ديننا ، فضلاً عن صفاته..
ثم قال -رحمه الله- : وقد رأيت هؤلاء أيضاً حين رأوا غلو الرافضة في حب علي - رضي الله عـنه -، وتقديمه على من قدمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته عليه، وادعاءهم له شركة النبي صلى الله عليه وسلم - في نبوته ، وعلم الغيب للأئمة من ولده ، وتلك الأقاويل والأمور السرية التي جمعت إلى الكذب إفراط الجهل والغباوة ، قابلوا أيضاً ذلك بالغلو في تأخير علي -رضي الله عنه- ، وبخسه حقه ، واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير الحق.. والسلامة أن لا تهلك بمحبته ولا تهلك ببغضته.."(2) .
وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية يورد أمثلة أخرى لتلك الردود فيقول :

"لما أعرض كثير من أرباب الكلام ، وأرباب العمل عن القرآن والإيمان ، تجدهم في العقل على طريق كثير من المتكلمة يجعلون العقل وحده أصل علمهم ويفردونه ، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له .
وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه ويرون أن المقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذبه صريح العقل ، ويمدحون السكر والجنون والوَله.. وكلا الطرفين مذموم، بل العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال الأعمال ، لكنه ليس مستقلاً بذلك، فهو بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن ، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار"(3) .
ومما سطره يراع الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- في مقدمته النافعة لكتاب خصائص التصور الإسلامي : "إننا لا نستحضر أمامنا انحرافاً معيناً من انحرافات الفكر الإسلامي أو الواقع الإسلامي ، ثم ندعه يستغرق اهتمامنا كله.. لأن استحضار انحراف معين ، أو نقص معين والاستغراق في دفعه وصياغة حقائق الإسلام من أجل الرد عليه منهج شديد الخطر ، وله معقباته في إنشاء انحراف جديد في الفكر والتصور الإسلامي لدفع انحراف قديم ، والانحراف انحراف على كل حال" .
إن هذه المشكلة التي ذكرها سيد تضرب أطنابها في واقع المسلمين قديماً وحديثاً.. ولو نظرت أخي - المسلم - إلى حاضر المسلمين الآن لرأيت استفحال هذه القضية وظهور آثارها وانعكاساتها .
وقد ذكر سيد قطب على ذلك أمثلة منها: أن تهمة المستشرقين وأذنابهم بأن الإسلام انتشر بالسيف والقوة ، قد قوبلت بهذا المسلك الذي حذر منه سيد وغيره من المصلحين.. حيث انبرى بعض "المنهزمين" بتبرئة الإسلام من تلك الفرية ، واشتطوا في ذلك حتى أسقطوا قيمة الجهاد في سبيل الله ، وحصروه في مجال الدفاع ورد العدوان !!
كما أورد سيد مثلاً آخر خلاصته : أن النزعة العقلية الغالية عند محمد عبده بحيث جعل العقل نداً للوحي ، بل وربما قدمه على الوحي.. إنما جاء كرد فعل للبيئة التي ظهر فيها محمد عبده حيث أغلقت باب الاجتهاد ، وأنكرت على العقل دوره في فهم الشريعة والاستنباط ، فغلب على تلك البيئة الجمود والتقليد الأعمى وانتشار الخرافة.. وفي نفس الوقت كانت أوربا تعبد العقل..
وكم هو محزن حقاً أن تظل إصلاحات بعض الناصحين وجهودهم وليدة ردود فعل لبعض الانحرافات السائدة ، فتستحوذ عليهم تلك الانحرافات ، وتصاغ حقائق هذا الدين وفق الرد والمواجهة لهذا الانحراف.. ما يورث انحرافاً آخر يقابل الانحراف السابق .

وتأمل ظهور الفرق الإسلامية وتمزق الأمة شيعاً وأحزاباً.. تجد أن "ردود الفعل" أحد الأسباب الرئيسية في نشأة تلك الفرق وانحرافاتها.. فالإرجاء ظهر كرد فعل لقول الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) وكذا الجبر رد فعل لنفي القدر.. والتشبيه في مقابل التعطيل.

وانظر إلى ظاهرة الغلو في التكفير والتسرع فيه.. وكيف أدى الأسلوب الذي سلكه بعضهم من أجل علاج الظاهرة السابقة (ردود أفعال) ! لقد قام من يهاجم هذا الانحراف (التسرع في التكفير والغلو فيه) ويؤلف في موضوع التكفير.. لكن على سبيل الرد على أولئك الغلاة (خوارج اليوم) فانزلق القوم فصاروا "مرجئة اليوم" !

ومثال آخر: وهو أن الأمة لما غرقت في لجة الجمود على كتب الفقهاء المتأخرين ، ووقعت في أسر التقليد والتعصب لآراء الرجال.. قام قوم - إزاء هذا الشطط - فانكروا ذلك - بالأسلوب الخاطئ - واشتطوا في ذلك لدرجة تجريح العلماء وازدراء كتب الفقه .

لا شك أن لهذه الظاهرة أسباباً يمكن من خلال إدراكها معرفة الأسلوب الملائم في علاجها، فمن أسباب المشكلة : ضغط الواقع وشدة تأثيره وتفاعل الإنسان معه سلباً أو إيجاباً ، أو نفوراً أو استسلاماً ، فربما نزّل النصوص الشرعية على الواقع فجعل واقعه حكماً على الوحي .

ومن أسباب هذه المشكلة : القصور في العلم الشرعي والجهل بالنصوص الشرعية متكاملة والظلم والاعتداء على الطرف الآخر ، والقصور في النظرة المتكاملة للواقع الحاضر ، ومن أسبابها : فقدان الموازنة والشمولية عند النظر إلى بعض الانحرافات العلمية أو العملية ، والنظر إلى أعراض المشكلة وآثارها دون أصلها وسببها .

وأخيراً لا بد أن نعرض حقائق وشرائع هذا الدين من خلال الأسلوب التقريري اليقيني، وأن نحذر من مسلك الرد والنقض لما قد يورثه من انفعالات ردود وتعديات، وأن لا تستحوذ علينا بعض الانحرافات بحيث تكون شغلنا الشاغل ، فنهمل ما هو أولى بالعلاج منها ، وأن نكثر أولاً وأخيراً من التضرع إلى الله تعالى والاستعانة به فلا منجا من الله إلا إليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

الهوامش :

1- الموافقات 2/163
2- باختصار من كتاب الاختلاف في اللفظ ص 231-244
3- باختصار من الفتاوى 3/338 - 339

القواعد الفقهية

(3)

عبد العزيز الحويطان

شرح لبعض القواعد المهمة

ســـنـقـف في عجالة سريعة على أهـم القواعد الفقهية ، التي عرفت قديماً واتصفت بالدقة والشمول وهي:

1- الأمور بمقاصدها :

أصــل هــذه القاعدة حديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"(1) . قال بعضهم : ينبغي أن يجعل هذا الحديث رأس كل باب .

وقد ورد في القرآن بعض الآيات التي تشهد لهذه القاعدة ، منها قوله تعالى : ((ومَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إلَى اللَّهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)) [النساء:100] وقـولــه تـعــالى: ((ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)) [النساء:114] .

ومما ورد في السنة يشهد لهذه القاعدة الحديث الذي رواه البخاري والشاهد منه "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"(2) .

ومن الأمثلة على فروع هذه القاعدة :

1- اللـقـطـة إن التقطها ملتقط بنية حفظها لمالكها ، كانت أمانة لا تضمن إلا بالتعدي وإن التقطها بنية أخذها لنفسه، كان في حكم الغاصب، فيضمن إذا تلفت في يده بأي صورة كان تلفها ، والقول للملتقط بيمينه في النية لو اختلفا فيها(3) .

2- لو وقع الصيد في شبكة إنسان أو حفرة من أرضه ، ينظر فإن كان نشر الشبكة أو حفر الحفرة لأجل الاصطياد بهما ، فإن الصيد ملكه ، وليس لأحد أن يأخذه ، وإن كان نشر الشبكة لتجفيفها مثلاً أو حفر الحفرة لغرض معين ، لا لأجل الاصطياد فإنه لا يعتبر من ملكه ، وساغ لغيره أن يتملكه بالأخذ إذا استبق إليه ، لأن إحراز المباحات لا يفيد الملك إلا إذا اقترن بالنية والقصد(4) .

- الضرر يزال

أصلها حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- "لا ضرر ولا ضرار"(3) . وقد وردت آيات في معنى هذه القاعدة منها قوله تعالى : ((ولا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا)) [البقرة 231] وقوله تعالى : ((الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإحْسَانٍ)) [البقرة 229] .

أمـا في السنة فقد قال المصطفى -صلى الله عليه وسلم- : "إن الله كتب الإحسان على كل شـيء فـإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته"(4) .

وقد استنبط العلماء من هذه القاعدة عدة قواعد منها:

- الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف
- يختار أهون الشرين
- إذا تعارضت مفسدتان روعى أعظمهما بارتكاب أخفهما .

ومن الأمثلة على ذلك :

1- يجوز السكوت على المنكر إذا كان يترتب على إنكاره ضرر أعظم ، كما تجوز طاعة الأمير الجائر إذا كان يترتب على الخروج عليه شر أعظم (5) .
2- يجوز شق بطن الميتة لإخراج الولد ، إذا كانت تُرجى حياته (6) .
3- حديث الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد(7) .

3- العادة مُحَكَّمة :

ما ورد في معنى هذه القاعدة من الآيات القرآنية ، قوله تعالى : ((ولَهُنَّ مِثْلُ الَذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)) [البقرة 228] و((وعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)) [النساء 19] ، وقوله تعالى: ((فَكَفَّارَتُهُ إطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ)) [البقرة 98] .
أماه الأحاديث فقوله -صلى الله عليه وسلم- "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف"(8) . قال الإسنوي وغيره : "إن ما ليس له ضابط في الشرع ولا في اللغة يرجع فيه إلى العرف"(9) .

4- المشقة تجلب التيسير:

دلت على هذه القاعدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية منها قوله تعالى: ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ)) [البقرة 185] ، وقوله تعالى: ((لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وسْعَهَا)) [البقرة 286] ، وقوله تعالى: ((يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ..)) [النساء 28] .
ومن الأحاديث قول المصطفى -صلى الله عليه وسلم- "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"(10). وقوله صلى الله عليه وسلم- : " لولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل"(11) .
والأدلة التي تؤيد هذه القاعدة أكثر من أن تحصر ولذا يقول الإمام الشافعي : "إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع"(12) . ومن هذه القاعدة استنبط العلماء قواعد تندرج تحتها منها :

- الضرورات تبيح المحظورات.
- ما جاز للضرورة يقدر بقدرها.
- إذا ضاق الأمر اتسع ، ومن فروع هذه القاعدة :

أن المديون إذا كان معسراً ولا كفيل له بالمال يترك إلى وقت الميسرة .

5- إذا اجتمع الحلال والحرام غَلَب الحرام الحلال :

وأصل هذه القاعدة قول المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: "الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات - أو مشبهات - لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمي ، يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه"(13).
كما أن حديث عدي بن حاتم يعتبر أصلاً لهذه القاعدة وهو: " قلت يا رسول الله أرسل كلبي وأسمي ، فأجد معه على الصيد كلباً آخر لم أسم عليه ولا أدري أيهما آخذ ، قال: لا تأكل ، إنما سميت على كلبك ولم تسم على الآخر"(14) .

6- التصرف على الرعية منوط بالمصلحة

وفي معنى هذه القاعدة ، يقول تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)) [النساء:58] .
أما الأحاديث فقول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"(15) وقوله - صلى الله عليه وسلم -:"ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة"(16) .

ومن فروع هذه القاعدة :

إذا لم يوجد ولي للقتيل فالسلطان وليه ، ولكن ليس له العفو عن القصاص مجاناً لأنه خلاف المصلحة بل إن رأى المصلحة في القصاص اقتص أو في الدية أخذها(17) .

7- الميسور لا يسقط بالمعسور :

أصل هذه القاعدة ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم"(18) . ومن فروعها:
1- إذا كان مقطوع بعض الأعضاء يجب عليه غسل ما بقي جزماً .
2- إذا قدر على بعض السترة فعليه ستر القدر الممكن .
3- القادر على بعض الفاتحة يأتي به بلا خلاف .
4- من بجسده جرح يمنعه استيعاب الماء ، فعليه غسل الصحيح مع التيمم عن الجريح .

ومن القواعد المهمة :

1- المتعدي أفضل من القاصر ، لكنه يستثنى في الإيمان .
2- الفضيلة المتعلقة بنفس العبادة أولى من المتعلقة بمكانها ، مثل الصلاة في جوف الكعبة لكن الجماعة خارجها خير من الصلاة منفرداً داخلها .
3- ما حرم استعماله حرم اتخاذه : ومنها تحريم آلات اللهو واتخاذ الذهب والفضة للزينة .

4- الخروج من الخلاف مستحب : مثل غسل المني، الترتيب في قضاء الصلاة .

5- الإيثـار بالقُرَب مكروه وفي غيرها محبوب : والضابط أنها في الواجب محرم وفي السنة مكروه ،وفـي المسـتحب خلاف الأولى ، ويشكل فيها ما لو سحب إنسان من الصف إذا لم يجد فرجة .

الهوامش :

1- رواه الستة ، انظر القواعد الفقهية للندوي ص 246
2- أخرجه البخاري 1/43 ، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً
3- أخرجه الحاكم وتقدم تخريجه
4- ابن ماجه في الذبائح ، باب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، 2/1058 رقم 3170
5- شرح القواعد الفقهية للزرقاني ص 147
6- الأشباه والنظائر لأبي نجيم ص 97
7- صحيح مسلم بشرح النووي 3/190
8- صحيح البخاري بشرح العيني 13/16-17
9- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ص 224
10- أخرجه البخاري 1/16
11- أخرجه البخاري 1/15-16
12- الموافقات 1/231
13- أخرجه مسلم في المساقاة 2/1219 رقم 1099
14- رواه البخاري ، كتاب البيوع 4/1939
15- رواه البخاري 1/ 304 رقم 853
16- رواه البخاري ، فتح الباري 13/126-127
17- الأشباه والنظائر للسيوطي ص 121
18- أخرجه البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة 4/258

من شذرات القلم

اختيار عبد الرحيم بن صمايل السلمي

*** العامل الأساسي لنجاح الداعية**

"إن العامل الأساسي في نجاح الداعية : ليس كثرة عـلـمـه ، ولا قوة بيانه وسحره ، ولكن هناك عاملاً قبل كل هذه الأمور : هو الإيمان بالدعـوة التي يدعو إليها ، والخوف الشديد مما يعتريها ، والشعور بالأخطار التي تقــع بسـبــب إهمال الدعوة ، إنّ مثل هذا الإنسان يصيح بالناس ويترك فيهم أقوى الآثار ولو كان أبكم" .

محمد أمين المصري
(المسؤولية ص 31)

*** ذِكْرُ سببٍ لانشراح الصدر**

"ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته (الإكثار من ذكر الله) فإنّ لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته ، وزوال همّه وغمّه ، قال تعالى : ((أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ)) [الرعد 28] . فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب لخاصيته . ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره".

عبد الرحمن بن ناصر السعدي
(الوسائل المفيدة ص 22)

*** حذارِ من الزهدِ من العلم**

"وإيّاك يا أخي ثم إيّاك ، أن يزهدك في كتاب الله تعالى كثرة الزاهدين فيه ، ولا كثرة المحتقرين لمن يعمل به ، ويدعو إليه ، واعلم أن العاقل الكيس الحكيم لا يكترث بانتقاد المجانين، واسمع قول الأديب الكبير محمد بن حنبل الشنقيطي الحسني -رحمه الله-:

لا تسؤ بالعلم ظنّاً يا فتى ... إنّ سوء الظنّ بالعلم عطب
لا يزهِّدْك أخي في العلم أنْ ... غمر الجهال أرباب الأدب
أنْ تر العالم نضواً مُرْمِلا ... صِفْرَ كف لم يساعده سبب
وتر الجاهل قد حاز الغنى ... محرِزَ المأمون من كل أرب
قد تجوع الأسد في آجامها ... والذئاب الغبس تعتام القتب
جَرِّعِ النفسَ على تحصيله ... مَضَضَ المرين ذلٍ وَسَغَبْ
لا يهاب الشوكَ قطّافُ الجنى ... وإِبارَ النحل مُشتارُ الضرَبَ.."

محمد أمين الشنقيطي
(أضواء البيان 1/5)

أسس تقويم المنهج
(2)

عبد العزيز صادق

أ- الصدق

لا بد أن تكون الوسائل المستخدمة في التقويم صادقة . ونقصد بذلك أن تكون الوسائل لديها القدرة على قياس الشيء المراد قياسه بدقة دون أن تتأثر النتائج بعوامل أخرى غير تلك التي وضعت الوسيلة لقياسها .

فمثلاً لو أردنا قياس قدرة الشخـص على فهم نص معين عن طريق القراءة فينبغي أن يكون الخط واضحاً والوقت كافياً لإنهـاء الـنـص. أمـا إذا كـان الـخـط غير واضح ولم يستطيع الشخص فهم النص فقد يكون سبب عدم الفهم هو سوء الخط وليس قصورٌ في الفهم عنده . وبذلك تكون هذه الوسيلة غير صادقة في تقويم قدرة الشخص على الفهم .

كما أن الوسيلة لا تكون صادقة في الحكم على جميع الجوانب إذا كـانـت هــذه الوسيلة مقتصرة على جانب معين فقط .

ومثال ذلك: لو أردنا معرفة حصيلة شخص من الفقه فسألناه عدة أسئلة ، ولكنها جميعها تدور حــول مـوضـــوع واحد في الفقه فإننا لا نستطيع أن نعمم ونقول إن قدرته وحصيلته الفقهية ضعيفة إذا لم تكن إجابته صحيحة . وذلك لأن هذه الوسيلة اقتصرت على جزئية ولم تكن شاملة لعدة مواضيع حتى تعكس حصيلته العلمية في الفقه . أما إذ كانت الأسئلة شاملة بحيث تغطي جـوانـب الفـقـــه المتعددة وكانت الإجابة ضعيفة فحينئذ نستطيع أن نقول : إن الوسيلة صادقة في كشف قدرته العلمية في الفقه .

وينبغي أن نلاحظ أيضاً أن كل وسيلة لا يمكن أن نحكم عليها بأنها صادقة أو غير صادقة إلا إذا ربطناها بالموقف الذي استخدمت فيه . فقد تعتبر الوسيلة صادقة في بعض المواقف ولكنها نفسها قد تعتبر غير صادقة في مواقف أخرى .

فإذا استخدمنا وسيلة ما لقياس انـضـبـاط الشخص في وقت كان فيه في حالة شدة وغضب فإن هذه الوسيلة تعتبر صادقة تكشف هذا الجانب فيه . أما إذا استخدمت في فترة الهدوء والرخاء فإنها لا تعتبر صادقة في كشف مدى انضباطه .

ب- الثبات :

ويقصد بالثبات هنا هو الوصول إلى النتائـج نفـسـهـا تقريباً لو أعيد استخدام الوسيلة عدة مرات سواء في صورتها الأولى أو في صورة مماثلة لها.

هـناك مجالات يسهل فيها الوصول إلى درجة الثبات عند إعادة استخدام الوسائل نفسها فـي القـيـــاس كما هو الحال في مجال العلوم والهندسة والطب . ولكن الأمر يختلف عند التعامل مع البشر لقياس المهارات والاستعدادات والقدرات ومعرفة النفسيات والاتجاهات ففي هذه الحالات يصعب الوصول إلى نتيجة ثابتة بإعادة استخدام الوسيلة نفسها .

ولذلك لا بـــد من اختيار الوسائل التي تعطي قدراً معقولاً من الثبات وفقاً للمجال التي تتم فيه عملية القياس على ألا يكون هناك تناقض في النتائج المختلفة التي نصل إليها .

جـ- الموضوعية :

ونقصد بالموضوعية عدم تأثر نتيجة التقويم بالعوامل الشخصية التي يتعرض لها المربي أو من يشاركه في عملية التقويم . وينبغي أن نلاحظ أن هناك عدة عوامل شخصية قد تؤثر في عملية التقويم منها :
- الحالة النفسية أو الصحية أو الاجتماعية والظروف المحيطة بالشخص .
- قيم المربي واتجاهاته وآراؤه . فكثيراً ما يتعاطف الفرد مع الذين يشاركونه نفس القيم ويوافقونه في آراؤه .
- نوعية العلاقة بين المربي والتلميذ . فأحياناً يرتبط المربي بتلميذه بعلاقة شخصية سببها الجيرة أو القربى ولهذه العلاقة درجات متفاوتة في تأثيرها على التقويم . فإذا كانت هذه العلاقة قوية ووطيدة فإنها قد تؤثر في النتيجة بصورة إيجابية وإذا كانت سيئة للغاية فإنها ستؤثر في النتيجة بصورة سلبية .
وحتى تكون عملية التقويم فيها موضوعية فمن الواجب اختيار الوسائل المناسبة التي تساعد على تحقيق الهدف دون أن تتأثر بالعوامل الشخصية . والموضوعية التامة أمر صعب بين البشر إلا إنه من الضروري التقليل من تأثير العوامل الذاتية في نتائج التقويم .

د- التنوع :

لا بد من استخدام وسائل مختلفة في عملية التقويم وعدم الاقتصار على وسيلة واحدة فقط . فاستخدام الوسائل المختلفة يمكننا من إلقاء الضوء على الجوانب المختلفة من شخصية التلميذ بحيث تساعد كل وسيلة في الكشف عن جانب معين من سلوك التلميذ وقدراته ومن ثم نستطيع أن نعدل من هذا السلوك وفقاً للهدف المنشود . ومن الضروري أن تتكامل هذه الوسائل المختلفة بحيث نحصل في النهاية على صورة صادقة وكاملة لشخصية التلميذ .
ونريد أن نلفت النظر إلى أن طريقة التقويم التي تستخدم وسيلة واحدة مثل الاختبارات هي طريقة تفتقد إلى خاصية التنوع وبذلك تكون نتائجها غير شاملة لجميع الجوانب . فالتقويم الصحيح يعتبر التنوع ركناً من أركانه ، ويتطلب التنوع استخدام مجموعة من الوسائل المختلفة مثل :
- الاختبارات .
- المقابلات .
- دراسة الحالات .
- ملاحظة ردود الفعل عند المواقف المختلفة .
- الاستبيانات .
- مقاييس العلاقات الاجتماعية .
- المناقشة الجماعية (الندوات) .
- التكليف ببعض المسئوليات وملاحظة الأداء .

ولا يقصد بالتنوع الاكتفاء باستخدام وسائل متنوعة فقط وإنما يجب أن يمتد التنوع إلى داخل كل وسيلة تسمح طبيعتها بذلك .
فالتنوع بالنسبة للاختبارات (التي تعتبر وسيلة من الوسائل) يتطلب استخدام كافة أنواع الاختبارات (التحريرية ، الشفهية ، اختبار المقال ، الاختبارات الموضوعية ، اختبار القدرات ، الاختبارات العلمية) .
والتنوع بالنسبة للملاحظة يتطلب القيام بها في مجالات مختلفة ومواقف مختلفة حتى نستطيع أن نلاحظ معظم الجوانب في شخصية التلميذ . كما يفضل أن يقوم بالملاحظة عدة أفراد حتى تتحقق الموضوعية في التقويم بقدر الإمكان .
والتنوع بالنسبة للمناقشة الجماعية يتطلب القيام بها في مجالات مختلفة ومواقف مختلفة:
- داخل حـجــرة الدراسة : حول أحد الموضوعات ، مناقشة الأخطاء الشائعة ، تصحيح هذه الأخطاء والمفاهيم .
- أثناء التخطيط لـلأنشـطـة المختلفة وبعد الانتهاء منها مناقشة التجارب العملية التي مر بها التلميذ .

هـ- التمييز:

والمقصود بالتمييز هنا هو القدرة على إظهار الفروق بـيـن الـتـلاميذ . وتعتبر هذه العملية في منتهى الأهمية وذلك لأنها تساهم في الكشف عن ميول كل فـــرد وقـــدراتــه واستعداداته واتجاهاته ومن ثم يكون توجيه كل فرد إلى ما يناسبه ويلائمه . فإذا ما روعـيـت قـضـيـة الـتـخـصـص في الطاقات فإننا نساعد في تنمية القدرة على الابتكار والإبداع الذي يعتبر من الأهداف الرئيـسـيـة الـتي ينبغي أن نـوليها أقصى اهتمامنا . فبذلك يكون التكامل والعطاء الغزير بين الأفراد .
كما أن وجـود عنصر التمييز يساهم أيضاً في الكشف عن التلاميذ الذين يعانون من نقص أو تخـلــف فـي بعض الجوانب ومن هنا يمكن رعايتهم رعاية خاصة وبذل المزيد من الجهد معهم حتى يلحقوا بأقرانهم .
وهكذا تقوم عملية التقويم بالتشخيص والعلاج معاً، تفسح الطريق أمام الموهوبين وتأخذ بيد الضعفاء والمتخلفين .

و- التخطيط :

يعتبر التخطيط أمراً هاماً وحيوياً ليس فقط في مجال التقويم وإنما في جميع المجالات . والتقويم المبني على أساس علمي لا بد أن يرتكز على التخطيط في كل مما يأتي :
- في تحديد الجوانب التي تنصب عليها عملية التقويم والهدف منها .
- في اختيار أنسب الوسائل لتقويم كل جانب من هذه الجوانب .

- في التنسيق بين مجموعة الوسائل المستخدمة لغرض واحد . فإذا كان الهدف من التقويم هو الكشف عن قدرة التلميذ على التفكير العلمي الـسـلـيـم فمن الممكن استخدام عدة وسائل لتحقيق هذا الهدف مثل الاختبارات المخصصة لهذا الغرض،الملاحظة، المقابلة الشخصية. وحيث أن كل وسيلة من هذه الوسائل يقوم بها أفراد معينون فمن الضروري التنسيق بين مجموعة الوسائل .
- اختيار الأشخاص المدربين (أهل الاختصاص) لاستخدام كل وسيلة .
- وضــع خطة زمنية يتحدد فيها استخدام كل وسيلة حسب الظروف المناسبة لكل منها . وكذلك عدد مرات الاستخدام إذا خطط لها أن تستخدم أكثر من مرة .
- تحديد أدق وأنسـب الـطــرق لتـسـجـيـل نـتـائـج كل وسيلة ويفضل استخدام البطاقات المخصصة لكل فرد .
- أن تتسم الخطة الموضوعة بالمرونة الكافية بحيث يمكن تغيير مواعيد استخدام الوسيلة أو استبدالها بوسيلة أخرى إذا دعت الظروف لذلك .

ز- مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ :

كثيراً ما يخطيء المربي حين يقارن تلـمـيـذاً بتلـمـيـذ آخر . وإنما التقويم الصحيح يوجب مقارنة التلميذ بنفسه بدلاً من مقارنته بغيره من التلامـيـــذ لكي نعرف مدى ما أحرزه هذا التلميذ من تقدم نحو بلوغ الأهداف المنشودة . فالمقارنة هـنــا تحدد نوعية هذا التقدم وهل هو بالقدر المطلوب أم لا، وبذلك يكون الحكم على التلميذ وفـقـاً لإمكاناته وقدراته وظروفه.
أما مقارنة التلميذ بغيره من التلاميذ سواء التلاميذ الذين مـعــه فـي الـدرس أو فـي سـنـه ومرحلته ففي ذلك تجاهل لمـبـدأ الفــروق الفردية . وهذا التجاهل يؤدي إلى شعور التلميذ محدود القدرات والذكـاء بالـيــأس والاستسلام والإحباط . وقد يؤدي إلى إحساس التلميذ المتفوق الذكـي بالـغــرور الذي قد يدفعه في بعض الأحيان إلى الكسل والتراخي . وفي كلتا الحالتين فإن هذا يعتبر ضرراً بالغاً . وليس معنى ذلك أن نغفل مقارنة التلميذ بغيره وإنما نقـصـــــد أن نبدأ بمقارنة التلميذ بنفسه أولاً لكي نعرف مدى التقدم الذي أحرزه وعندما نلمس أنه أحرز نوعاً من التقدم نقارنه بغيره ولكن بحرص وحذر وتشجيع .
ويتطلب مراعاة الفروق الفردية استخدام وسائل التقويم المتنوعة إلى أقصى درجة ممكنة . فبالنسبة للاختبارات مثلاً فإنه من الضروري استخدام كافة أنواع الاختبارات الشـفـهـيـة منها والتحريرية ، المقالية والموضوعية بحيث تعطينا النتائج وصفاً دقيقاً للأفراد .

الأدب الإسلامي
بين القبول والرفض

د. حسن بن فهد الهويمل (*)

تعيش المذاهب الغربية والشرقية مـخـــاض رؤية معزولة عن وحي السماء ، إنها تجهيز في إطار عالم الشهادة وهو عالم لا يتجاوز ظـاهـــر الحياة الدنيا . وقضية الأدب الإسلامي في إطار هذه البيئة تحتاج إلى تحرير ، فهي الآن مسألة خلافية حتى عند الإسلاميين الذين يحملون هم التناول الإسلامي ، ولا يعترضون عـلـى الـمـضـمـون بل يرون مشروعية الأداء ويحتمونه ، ثم هم يختلفون بين أن يكون للمشروع مصطلحاً أو نظـــرية نزعة أو اتجاهاً ، والأطروحات التي وصفت المصطلح بالبدعة ، والأطروحات المضادة لا تنفــك عــن ترديـد اللـغـط المعروف ، وسوف أحاول تخطي ذلك قدر المستطاع متخلصاً من معوقات التيئيس ، ومحاولاً تخلية الموقع من بعض التساؤلات التي تركها بعض الكتاب .

ويقـيـنـي أن أي مـشــروع جديد لا بد له من حركة تمحيصية ليأخذ وضعه الطبيعي وأنا متفائل بل متأكد بأن مصطـلح الأدب الإسلامي سيأخذ هذا الوضع مسقطاً كل الإشكاليات ، وأملي أن تتوفر له الكـفــاءات المقتدرة لتبحر في مركبه وسط الأمواج المتلاطمة ، وما لم تتضافر الجهود فإن هاجس الخوف سينمو وبالتالي تصبح التجربة أقرب إلى الفشل المؤدي إلى الخروج من دائرة الضوء.

وإشـكـالـيـــة المصطلح الإسلامي تنمو بفعل الخصوم ، والخصوم فئتان : فئة تستبطن سوء النية تريد للـمـبـــدع والـنـاقد التخلص من سيطرة الدين ، وهذه الفئة تنسجم مع دعوات التحرر من سلطة الماضي بما فيه الدين ، ولا صعوبة في مجادلة تلك الطائفة لأنها لا تطرح إشكاليات بل تطرح رأياً رافـضاً. وفئة ترى أن مشروعية التناول الإسلامي قائمة منذ البعثة ولا حاجة إلى تأطيرها ضـمــن مصطلح متميز . وهذه الفئة يمكن التحاور معها لأنها تمارس مــا تـمـــــارس من باب التحفظ فقط، وهي لا تمنع أبداً مشروعية التناول بروح إسلامية، ونواياها حـسـنة ولكنها بحاجة إلى تجاوز الظاهر والخوض في عمق القضية . ومع خطورة الفئة الأولى فـــإن مـحــاورتـها يجب أن تكون في مشروعية الإسلام فهي كالفئة الكافرة لا تطالب بفروع الشريعة . وقبل أن نستهل الحديث نود الإشارة إلى شيئين:

- أولهما : ثنائية الشكل والمضمون ؛ ففئة ترى استقلال الشكل الفني عن المضمون العقدي وهـذا يستتبع عزلة عن الحياة ، وفئة ترفع شعار الفن للحياة ، وتؤكد على مبدأ الالتزام بقضية "ما" وهذا يدخلنا في قضية الالتزام ومعالجتها على مستويات عدة وهو ما لا نريده الآن.

وفي اعتقادي أن لا فصل بين الفن والحياة ، فلا حياة بلا فن ، ولا فن بدون حياة واعية. والتجربة جزء من الحياة أو هي الحياة عينها ، والإبداع بدون تجربة عبث ولهو ، فالفن إذاً استعادة التجربة حركياً في المسرح . وتعبيرياً خيالياً على الورق . والإنسان في كل ذلك عنصر هام في التجربة .

- وثانيهما: أنـه يتحـتـم عـلـى كل إنسان يعرف أبعاد مسؤوليته ويرضى بهذه المسؤولية ممـارســـة ومـنـهــج حياة أن يعيد النظر في أسلوب عمله.

والإنسان الذي رضي بالله رباً، بالإسلام ديناً له مسؤولية ، تلكم هي مسؤولية العبادة والدعوة إليها:

((ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ)) .

((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ)) .

وحـيـن لا نجد بداً من تحمل هذه المسؤولية عملاً ودعوة فعلينا أن نستذكر أنه من الأفضل أن نعيش هذه المسؤولية باستمرار ((واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ)) .

((الَذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ)) نعيش لها ومن أجلها وفق منهج محكم متطور يلائم العصر ويستجيب لحاجاته ، والدعوة إلى سبيل الله بالكلمة الطيبة وبالأسوة الحسنة ، والمسلم الفذ هو الذي يعرف الحق ويثبت عليه ، ويدعو إليه ، ويتمثل الإسلام قولاً وعملاً على ما كان عليه سلف الأمة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه . وعلى ضوء هذين الشيئـيـن تتجـلـى لـنـا حياة المسلم التي لا تعرف الفراغ فهي مليئة بالعمل لدنياه وآخرته ، والكلمة الطيبة جزء من العمل الجاد المثمر ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)) .

فهناك ثبات وهناك سمو . والإبداع الفني لا بد أن ينطوي على الثبات والسمو وما الأدب الإسلامي إلا تجسيداً لهذا الـثـبـات وهذا السمو ، فالله لا يحب الجهر بالسوء ، ويأمر عباده بأن يقولوا التي هي أحسن وينهى عن لهو الحديث ، ويُثبت على القول السديد ، ولا يصعد إليه إلا الكلم الطيب . وإذاً فثمة تلازم بين الكلمة الطيبة والإبداع . وإذ يكون التلازم.. تكون حتمية الأدب الإسلامي ، والكلمة مادة الفن المقروء ، والفن ضرورة إنسانية والنزوع إليه فطري،والاستجابة له طوعية وأثره واضح في الحديث "إن من البيان لسحراً". والسحر يجعلك تتلبس بالاستجابة دون وعي ، ومن ثم قال توفيق الحكيم : "لو علم رجل الفن خطر مهمته لفكر دهراً قبل أن يكتب سطراً" فالحركات التي غيرت ملامح التاريخ وصاغت الحياة من جديد فتق لها المبدعون،ألم يكن للرسول شاعر في مقابل شعراء الوفود، وخطيب يفوق خطباءهم ؟

والـمـدركـــون لقيمة الفن الجمالية والدلالية ، وخطورة دوره وأهميته يتلبثون كثيراً قبل الإفضاء بإبداعهم ، ولعلنا نعرف صاحب الحوليات ، ومدرسة عبيد الشعر ، وفي العصر الحديث نسمع أن جوستاف فلوبير الفرنسي صاحب

قصة "مدام بوفاري" قال في معرض حديثه:"ربما أخذت أسبوعاً أو أسبوعين في صياغة جملة من جمل هذه القصة" ويقول: " قرأت ألفي كتاب من مكتبة المتحف الوطني الفرنسي من أجل استيفاء الأرضية الخلفية والاجتماعية لإحدى القصص" .
"وماركيز" أنـتـج إحــــدى قصصه في ستة عـشـر عاماً كل هذا يدل على أن الأدب لم يعد جمالياً للمتعة ، وإنما اسـتـصـحـب الـجـمـالية وتخطى بها إلى عمل جاد لتحويل المسار البشري وتغيير قناعاته ، وثقافة النص تغلب على جمالياته ، والثقافة والإبداع يشكلان حجر الزاوية في العملية الإبداعية فلا أدب بدون ثقـافـــة معمقة وشاملة ، ومن ثم أصبح الأدب عملاً فكرياً متلبساً بالفلسفة يطرح رؤية متميزة للكون والحياة والعالم ، هذا التحول في مسار الأدب جعل له خطره وأهميته وأثره الواضح فـــي تشكيل ذهنية المتلقي مما دفع الصفوة من رجال الفكر والأدب إلى التفكير في التدخل المباشر لتوجيه الأدب والفن عامة وجهة تنسجم مع المقتضى الإسلامي ، وتسهم في صياغة الذهنية صياغة توجه الإنسان إلى بارئه .
وإذا كان هناك موقف رافض أو متردد أو متحفظ من مشروعية مصطلح الأدب الإسلامي ، فإن هذا الموقف يجب أن يكون أكثر احتداماً وتصلباً في وجه المصطلحات الطارئة زمناً ، والطارئة فكراً ، مصطلحات تنطوي على توجهات فكرية مضادة للفكر الإسلامي ، إن هناك أدباً وجودياً ، وماركسياً ، وقومياً ، وحداثياً ، وعلمانياً ، هذا بالنسبة للبعد الدلالي ، وهناك آداب أخرى حسب الاتجاه الفني ، ومذاهب واتجاهات تسرح وتمرح في وسطنا ، وتسهم في تلويث وعينا ، يتبناها أبناء المسلمين ، أو على الأقل يمنحونها مشروعية الوجود ولا يجدون غضاضة من معاشرتها وطرد الغربة عنها ، ولم نسمع إلا القليل ممن يبحث في مشروعيتها . وإزاء طوفان المذاهب الأدبية لا بد من أدب إسلامي يبرز شخصيتنا ، ويكرس خصوصيتنا ، والفن هو الأكثر قدرة على حمل هذه الخصوصية. وإذا كنا قد رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وتحملنا في سبيل ذلك مكائد العالم المتكبر ، فلا أقل من أن نسعى لتأصيل وتكريس الأدب الإسلامي ، ليسهم في الذوذ عن مقدراتنا ، ومقدساتنا الفكرية ، وليس فيما نسعى إليه بدعة ولا تجزئة ، فأسلمة الأدب مشروع إسلامي ، ومجيء المصطلح لم يكن بدعاً من القول فالإسلام ، منذ البدء مارس أسلمة الشعر .
لقد نزل القرآن الكريم يحدد فئات الشعراء ((والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ)) إلى أن قال : ((إلاَّ الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)) ((وذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا)) هذا السياق القرآني يحدد ملامح الشعر الإسلامي ، وإذا فهناك شاعر إسلامي تبرزه سماته وخصائصه ، وشاعر آخر تحدده توجهاته ، ومصطلح الأدب الإسلامي يقيم صروحه على هذا التقسيم القرآني . وينطبق على الأدب الرخيص والأدباء المنحرفين قوله تعالى : ((ومِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ

قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا..)) إلى أن قال : ((وإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا..)) وهل هناك أخطر من سهم الكلمة الجميلة المسمومة ؟! فالأدب الإسلامي إذاً مشروع تطهيري يحاول تنقية الكلمة من الشوائب ، ويؤكد على صدق المحتوى وشرف الغاية وسلامة الوسيلة ، وجمال العرض ، ويعترف ببشرية الإنسان الناقصة ، وحاجتها إلى الترويح البريء واللهو المباح .

والأدب العربي المعاصر لا ينهض بكل هذه المهمات ، ولم يعد خالياً من الشوائب فالضخ الغربي والشرقي وقابلية التبعية والتهالك على الطارئ ، كل ذلك أردى أدبنا العربي في أوحال المادية والعبثية والفحش ، وأجهض الكلمة الطيبة بالغموض والنثرية .

إن هناك تبعية في الأدب العربي تتمثل في المناهج النقدية ، وفي فصل الأدب عن الفكر الإسلامي ، وفي إعلاء الشخصيات المشبوهة ، وفي السقوط الأخلاقي وبضرب لغة القرآن ، ومحاكمة الشخصيات الإسلامية بمعايير مادية وكسر الثوابت ، والإيمان بشمولية التغيير واستمراره ، إنه أدب يعيش بلا هوية وبلا تماسك ، ولا خصوصية ، لقد تشكلت هذه المثبطات في غياب الوعي أو تزييفه ، لتكون امتداداً لمحاربة الكلمة الطيبة التي بدأت بقول المشركين : ((لا تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ والْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)) .

لقد سمعنا منكراً من القول سربه إلينا التقليد الفج للآداب الأجنبية إبداعاً وتنظيراً ، ومن ثم تلاحقت المذاهب في لهاث مسعور كالسريالية ، والدادية ، والواقعية ، والوجودية ، والماركسية ، والحداثة الفكرية ، جاء كل ذلك نتيجة رؤية متوترة للكون والحياة رؤية مادية خالصة . وأعقب ذلك نهوض أقلام مقتدرة ومؤثرة لنبش العفن في موروثنا الأدبي ، بحجة أنه موروث ، فجاء إحياء الفكر الاعتزالي ، والوثني وشعر الخمر ، والمجون والغزل الفاحش ، كما أعيدت ظواهر أدبية وشخصيات مشبوهة لم تكن حاضرة في الذهن رغبة في تحويلها إلى قدوة سيئة للناشئة ، فالصعاليك ، والزنادقة ، والشعوبيون ، والباطنيون ، وغلاة المتصوفة ، كل أولئك يترددون على ألسنة الأدباء ويعبرون إلينا من شبا أقلامهم بشكل لم يسبق له مثيل . وتضافر الجهود في مثل هذه الأقبية يبعث على الشك والارتياب في النوايا ، ويحفز على التحَّرف للتصدي والمواجهة . والمواجهة يسبقها جمع الكلمة وتوحيد الصف تحت شعار (الأدب الإسلامي) .

لقد تعرض الأدب العربي لتغييرات أفقدته هويته ، وقضت على خصوصيته وسرعة التحولات أفقدت الأساطين زمام المبادرة حتى قال قائلهم : "قصائدنا بلا لون وبلا طعم وبلا صوت" كل هذه الترديات تسوغ لهذه النظرية المنقذة ، بل وتحتم التفكير الجاد في تكريسها وممارسة الإبداع على ضوئها لإقالة عثرة الكلمة الطيبة واستعادة ماء الحياة بعد النضوب والتصحر .

لقد كان الأدب العربي أدباً إسلامياً ، وكان الخروج على مقتضى الإسلام في الإبداع يعد تجاوزاً فردياً ، أما الآن فإن الأدب العربي لم يعد في جملته إسلامياً ، ويكاد يكون الاتجاه الإسلامي فيه فردياً بحيث يمكن تمييز الأدب الإسلامي وسط طوفان التعدي على حمى الله ، ومع التباين في المحتوى بين الأدب العربي والإسلامي فإن أحدهما لا يلغي الآخر .
ومع هذا فنظرية الأدب الإسلامي لم تجتث من الأرض ، ولم تكن طارئة ، إنها تمتد بجذورها في عمق تاريخي لا مثيل له في كل الآداب العالمية ، وجذور الأدب الإسلامي مسوغات لاستمراره ، فالقرآن بكل ما يحفل به من مدد بياني معين لا ينضب يتدفق في شرايين الأدب ويمده بأرقى الأساليب وأشرف الأفكار وأنبل الغايات . والحديث النبوي يفيض بفصاحة عربية ، والشعر العربي الذي دافع عن الإسلام جنباً إلى جنب مع المجاهدين في سبيل الله ، تمتد وشائجه إلى اليوم ليضخ فكره وجمالياته في محيط الأدب الإسلامي الحديث ، أدب له هذه الجذور لماذا تقام المحاذير من حوله ، ولماذا يتساءل الطيبون عن مدى مشروعية المصطلح ، لقد طوع الغرب أدبه وسخره لخدمة مبادئه وأفكاره ، وأكسبه قيمة دلالية ، وجعله رسول دعوة يتخطف الناس ببريقه ، ولم يقل أحد عن هذا ما قاله المتحفظون ، والرافضون لمشروعية الأدب الإسلامي ، إننا نجد من يتحفظ على مشروعية المصطلح ملتمساً دعائم لهذا التحفظ . يقول أحد الطيبين : "لقد اعتورت تاريخنا الإسلامي موجات أدبية فيها بذور إلحاد ، كما في شعر "الحلاج" ، وأبي العلاء ، وفيها شعوبية كما في شعر بشار وابن يسار ، ولكن ما علم أن الأسلاف دعوا إلى الإصطلاح بأدب إسلامي يميزه" ، وأحب أن أشير إلى أن بذور الإلحاد والشعوبية ممارسات فردية ليس لها تنظيم ، ومجيئها في وقت كانت القوة والغلبة للإسلام وغياب المصطلح الإسلامي في تلك الفترة لا يبرر غيابه الآن . كما تخوف المتحفظون من التجزئة ومن ضعف أداء المنتمين إلى الأدب الإسلامي بجوار الآداب الأخرى التي يمثلها القمم في القيمة الأدبية ، ولا أحسب التجزئة قائمة لأن هناك وشائج قربى بين الأدب العربي والإسلامي فاللغة واحدة ، والقيم الجمالية واحدة ولا يكون التمايز إلا في المحتوى إذا حاد الأدب العربي عن جادة الصواب في تناولاته وهذا ينفي الخوف من التشرذم .
أما الخوف من ضعف المنتمين فليس الإسلام مظنة الضعف ، ومن ضعف من المسلمين فعليه ضعفه ، وهل من لوازم الأدب الوجودي والماركسي أو أي اتجاه منحرف القوة . وهل من لوازم الأدب الإسلامي الضعف بحيث نثيره كمحذور ، والله جل وعلا يقول : ((ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ)) يقول هذا والأمة الإسلامية في حالة ضعف وهزيمة . وأحسب أن المتحفظ ينظر إلى الواقع المعيش . ومهمة المفكر والأديب التجاوز بالأدب والفكر الإسلامي هذه المرحلة وإعادة مجده وفوقيته ، ويمضي المتحفظون إلى ضرب الأمثال

فالأدب الماركسي - في نظرهم - أخفق إخفاقاً ذريعاً حين أمم الأدب وفرض عليه الالتزام ، وفات أوشك أن المذهب الماركسي معاكس للطبيعة البشرية ، وقسر الأدب على خدمته مؤذن بفساد الأدب وتشوه جمالياته ، أما الإسلام فعقيدة فطرية تلائم نوازع الإنسان وتستجيب لمطالبه ، وسير الأدب في ركابه انطلاق وحرية ، فلا تعني تجربة الالتزام الماركسي الفاشلة موعظة للذين يحاولون الالتزام الإسلامي ، فالمسلم مطالب بالالتزام ، وإن لم يكن مبدعاً ، ومسؤولية الكلمة وخطورتها تتضح من قوله تعالى : ((مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) والمصطفى - صلى الله عليه وسلم - حذر من حصائد الألسن وأشار إلى أنها تكب الناس على مناخرهم في النار وفي الأثر: "إن الرجل ليقول الكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً" .
وتألق الأدب الوجودي - إن كان ثمة تألق - لم يتأت من عدم التزامه ، فمجرد كينونته تعني حاجته إلى أدب يبشر به ، ولعل انتشاره مرتبط بتلك الحرية المطلقة التي بلغت حد العبث والفوضى والغثيان . لقد أصبح متنفساً للمقهورين بالشك والارتياب والرفض . وعلى الجملة فمقارنة الأدب الإسلامي بتلك الآداب انتقاص للأدب والإسلام معاً لإنها مقارنة مع الفارق .
ومما أشار إليه المتحفظون التركيز على أهمية القيمة الجمالية بمعنى أن الأدب للمتعة فقط ، وتوريطه بالمهمات النفعية يكون على حساب جمالياته ، وبالتالي ينحيه عن مقتضيات الفن وأحسب أن الواقع المعيش أسقط من حسابه الانقطاع للجمال والمتعة .
لقد تلبس الأدب بالفلسفة ، واتخم بالفكر ، وتحولت المذاهب الأدبية من مذاهب شكلية إلى مذاهب فكرية ، وامتطت صهوة الكلمة لتكون رسولاً من رسل هذا الفكر ، والإسلام سبق كل المذاهب في ذلك ، والقرآن الكريم معجزة الرسول يأتي في قمة الفن ، وقد نظر إلى الجماليات صوتاً ، وصورة ، وأسلوباً ، وقضية النظم التي طلع بها الجرجاني تجسد الجمالية الأسلوبية بأبهى صورها ، ولم يؤثر المدلول القرآني على روعة الأداء وجمال النظم ، فكيف نفكر في إثارة الملمح الجمالي للأدب ، ونعده معوقاً في طريق تلك النظرية ، ومن ينكر نفعية الأدب وأيديولوجيته وأثره الفكري والعقدي والأخلاقي ؟
لقد انتهت نغمة الفن للفن . وحل محلها الفن للحياة . والفن تجربة يشكلها الجدل مع الحياة ، وقضية الفن للفن أو للحياة سفسطة لا قيمة لها ، وهذا لا يعني تحويل الفن القولي إلى خطب ومواعظ وأمر ونهي ، إن الأدب الإسلامي أبعد من كل ذلك وأشمل لكل ذلك ، إن الأدب الإسلامي يريد فقط تميز الأديب المسلم بأدائه ، وذلك بإبراز الحس الإسلامي ، والتفكر في خلق السموات والأرض ، وتجلية جماليات الكون للالتفات إلى مبدع الكون ، ألم تشدنا الأرض وتثير انتباهنا حين تأخذ زخرفها وتتزين ؟ ألم تشدنا مناظر

الطبيعة وأشكالها وألوانها المتناسقة ونظامها ؟ ألم نطرب لهذه الأصوات ،من حفيف وخرير وتغريد ؟ إن على المبدع أن يمارس إبداعه بحرية مطلقة ، ولكن عليه أن يستحضر عظمة الخالق ، فالكون صنع الله الذي أتقن كل شيء ، وهذا الاستحضار كفيل بإنتاج أدب إسلامي رفيع المستوى ولكن الحاصل ، خلاف ذلك لقد شغلنا بالطبيعة منفصلة عن خالقها ، فجاء الأدب مادياً لا قيمة له ، لأنه فقد نبض الإيمان ، وحين يفقد نبض الإيمان تتصحر الحياة ، ويجف معينها .

ومما أثير في سياق التحفظات في طريق مشروع الأدب الإسلامي احتياج الشاعر إلى التغني بذاته والتنفيس عن همومه الفردية والشاعر يغني ألم الحرمان ويصف مناظر الجمال ويحسب هؤلاء أن الأدب الإسلامي يمنع من ذلك وفاتهم أن الأدب الإسلامي أرحب صدراً وأوسع أفقاً مما يتصورون .

إنه يستوعب كل الهموم وكل التطلعات ولا يضيق بخواطر النفس وخطراتها ، وآلامها وآمالها . إن الأدب الإسلامي يحفظ ويحافظ على جماليات الفن وموسيقاه ، وصوره وخياله ولغته المتميزة ، ويعرف حدود الأدب ، ويرفض تداخل المهمات ، فهو لا يحمل هم الوعظ والإرشاد ، ولا يفكر بالإفتاء ونظم العلوم ، وكل الذي نريده من المعارضين أن يعرفوا جيداً أبعاد الأدب الإسلامي ومقتضياته وخصائصه وسماته ، عندها لا يكون جدل أو خصام .

فالأدب الإسلامي يتفق مع الفن فـي الـقـيــم الفنية ، أما القيم الدلالية فله موقف ، وليس بدعاً في ذلك ، فالأدب الماركسي له موقف من القيم الدلالية ، والأدب الوجودي والسريالي والحداثي وكل الآداب الحديثة تحدد موقـفـهــا من القيم الدلالية . ويقيني أننا إذا عرفنا ذلك فلن نحتاج إلى البحث عن مسوغات ، ولن نلـتـمـس المـحــاذيـر ، والـنـص الإبداعي الحـديـث لا ينجو من الأدلجة والتسييس . وإشكالية الأدب الإسلامي لا تتـجـــاوز إلـى مشروعية الـمـمــارسة ، لقيامها منذ أن وجه الرسول - صلى الله عليه وسلم - حسان بن ثابت للتصدي للمشركين ، ولكنها تقف عند مشروعية المصطلح ، وإذا كانت هناك ممارسة إبداعية فما المـحــذور مـــــن إطلاق مسمى يميزها عن غيرها ، وعندما لا ينتبه السلف إلى إطلاق هذا المصطلح فإن ذلك لا يـديــن المــاضـــي ، ولا يمنع الحاضر ، فالمصطلح تولده الحاجة .

إن الأدب الإســــلامي الذي يتوجس منه البعض خيفة حين يستوي على سوقه سينهض بفرائض غائبة إسـهاماً في تصحيح الفساد المتفشي ، ولن يعالج هذا الفساد إلا أدب ينطلق من قواعده الإسلامـيـــة من القرآن والحديث . إن سرعة التحولات أفقدت الأدب العربي هويته وشككت في انـتـمـائـه وولائه ، وغمسته في أوحال التبعية والإمَّعية وترديه في تلك الأوحال من أولويات مسوغات ،الأدب الإسلامي ومشروعيته ، مصطلحاً وأداءً .

الهوامش:

* وصلنا هـــذا المقال من الدكتور الهويمل الذي يعتبر من نقاد الأدب المشهورين في المملكة العربية الـسـعـوديــة والـبـيـــان ترحب به وبكل الاخوة الذين يساهمون في تعميق الأدب الإسلامي .

شعر

أمي

محمود مفلح

إلى روح التي ارتحلت عن هذه الدنيا ، وكلانا لم ير الآخر منذ عشر سنوات

إلى روح أمي:

مــالي ســمـــعتُ كأنْ لم أسمعِ الخبرا هـــــل صار قلبيَ في أضلاعه حَجرا؟
مالـي جمـدتُ فــلـم تهتزَّ قافـيـتــي ولا شــعـــرتُ ولا أبـصـرتُ من شعـرا
كـأنَّ كــلَّ سواقي الشعر قـد أسِــنـت من جففَّ الشعرَ من بالشعرِ قد غـدرا؟
أنا الذي عــزفــت أوتــارُه نـغـمـــــاً هزَّ الورى والذُرا والــطــيـــــرَ والشجرا
مــالـي سـكـتُ فـلم أنـطـقْ بقـافـيــة ولا رأيت بـــعـــيـنــي الدمعَ منحدرًا؟
هل جففَّ الرملُ إحساسي وجففّنــي فأصبح الــشـعـــرُ لا عـلـمـاً ولا خبرا؟
وهل عجزتُ عن التعبير واأســـفــي كأنـــنـــي لــم اصـغْ للغادةِ الدُررا!؟
أمي تمـوت ويـُمـنـاها عـلى كـبـدي يا أمُّ رُحماك إنَّ الـــقــلـــــبَ قد فُطِرا
هزّي سريــري إنــي لـــم أزلْ ولــداً ودّثرينــيَ إن الـــــريـــحَ قـــــد زأرا..
وجفّفي عــرَقـي فـالـصـيــفُ ألهبني وسلسلي المــــاءَ كــــي أقضي به وطـرا
مُدي يَديّكِ كما قد كنت ألــثـمـهـــا فقد نهضتُ وَوَجْـــهُ الـصـبح قد سفرا
وحّوطيني.. تلــك الـعـيــُن خـائـنـة وكم رأيتُ عــيونــــاً تـقـــدح الشررا
ولوّني أغنياتِ الصيــف فــي شفتي وقرّبي مــن وســادي النجـــم والقـمرا
ما زال صوتك يا أمـــاه يـتبعـنــي يا ربُّ رُدَّ حـبـيـبـــاً أدمـنَ الـسـفـــرا
يا ربِّ صُنْهُ من الأشــــرارِ كـلـهــــمُ ورُدَّ عـنــه الأذى والـكـيـْد والخـطـرا
واجبرْ إلهي كسْراً ، حــلَّ فـي ولدي فأنتَ تجـبـــرُ يـــا مـولاي ما انكسـرا
يا ربِّ جفّت دمــوع الأمـهـات هنـا فأنزلنَّ عــلـيـنـــا الـغـيـث والــمـطرا
كلُّ العصافير عـــادت مــن مهاجرها متى نعودُ إلى أعـشــاشـِنـــا زُمـــــرا
وارحم إلهيَ زوْجاً غـــاص عائـلـها في ظلمـــة الـسجـــن لـم تبصرْ لـه أثرا

وطـفـلـةً كـلـمـا قـالت زمـيـلـتــهاأتــى أبـــوك ؟ تشظّــى القلبُ وانفجرا
وارحــم إلهــي شـيخـاً دبَّ فوق عصاً قد كاد من طول ليل يــفــقـــد الـبـصرا
يـــا مـــن رددتَ إلى يـــعقوب يوسفَه لا تتركِ الشـــيـخَ فـرْداً لا يُـطـيق كرى
يـا ربّ ما ذنــبُ أحـــرارٍ إذا وقـفـوا مثـلَ الجـبـالتِ وموج الظلم قد سكِرا؟!
مـــا زال صـوتـك يـــا أمـــاه يجلدُني إنــي أسـأتُ وجـئـتُ الـيـوم معتـذرا
لا والــــذي خلــق الـدنـيـا وصــورّها ما خنتُ عهدك يوماً ، ما قطعت عُرى
لـكـنـهـا مِـحَـنٌ حـلـت بـسـاحـتنا أودت بفـكـر الـذي قـــد روّض الفِكرا
أمــي تمــوت ولــم أفـــزع لـرؤيتـهـا ولا قرأتُ علــى جـثـمـانهــا سُـورا
ولا حـمـلتُ عـلـــى كِـتْـفي جِنازتها ولا مـشـيتُ مع الـمـــاشـيـــن معتبرا

فوائد من كتاب "الفوائد"

اختيار: أم عبد الرحمن

قيل في العلماء الصادقين أنهم أطـبـاء القـلـوب ، وذلك بما عندهم من فراسة صادقة وهبها الله لهم من نوره الذي قذفه سبحانه في قلوبهـم الممتلئة بالعلم والإيمان والإخلاص واليقين . فتجد أحدهم يكشف لكل مريض عن سبب مرض قلبه بحذق وفطنة وبصيرة نافذة .

ومن هؤلاء العلماء : ابن قيم الجوزية - رحمه الـلـه - فــإن معظم مؤلفاته تُفصح عن مدى صدق فراسته ، وعن مدى قدرته في تحليل خفايا النفوس المريضة بالذنوب والأهواء . ومن كتبه التي تحمل تلك الصبغة كتاب "الفوائد" الذي اخترت مـنــه هــذه الفــوائـد المنوعة والموجزة والتي أرجو الله أن يجعل فيها المنفعة والفائدة لكل قارئ وقارئة .

* ليس كل من تحلّى بالمعرفة والحكمة وانتحلها كان من أهلها ، بل أهل المعرفة والحكمة الذين أحيوا قلوبهم بقتل الهوى .
* لا يجتمع الإخلاص في القلب ومـحـبــة الـمـدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضبّ والحوت.
* الـمـعاصي سدٌ في باب الكسب ، وإن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه .
* مـن أراد من العُمّال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه من العمل وبأي شغل يشغله .
* الدنيا جيفة ، والأسد لا يقع على الجيف .
* من عظم وقار الله في قلبه أن يعصيه وقَّره الله في قلوب الخلق أن يُذِلّوه .

* للـعـبـد رب هـو ملاقيه وبيت هو ساكنه ، فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه ويعمر بيته قبل انتقاله إليه .
* إذا حمَّلت على القلب هموم الدنيا وأثقالها وتهاونت بأوراده التي هي قوته وحياته ، كنت كالمسافر الذي يحمِّل دابته فوق طاقتها ولا يوفيّها علفها فما أسرع ما تقف به .
* عيَّر سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين فقال : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيلٌ)) [التوبة 38] .
وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة .
* الإخلاص : هو ما لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا عدو فيفسده ولا يعجب به صاحبه فيبطله .
* ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية .
* لا يشم عبد رائحة الصدق ويداهن نفسه أو يداهن غيره .
* الجهَّال بالله وأسمائه وصفاته المعطِّلون لحقائقها يُبغِّضون الله إلى خلقه ويقطعون عليهم طريق محبته والتودد إليه بطاعته من حيث لا يعلمون .

*** وقار الله :**

من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبك خالٍ من تعظيم الله وتوقيره ، فإنك توقر المخلوق وتجلّه أن يراك في حال لا توقر الله أن يراك عليها ، قال تعالى : ((مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وقَاراً...)) [نوح: 13] .
ومن وقاره ان لا تعدل به شيئاً من خلقه... ، ولا يجعله على الفضلة ويقدم حق المخلوق عليه ، ولا يكون الله ورسوله في حدّ وناحية ، والناس في ناحية وحدّ ، فيكون في الحدّ والشق الذي فيه الناس دون الحدّ والشق الذي فيه الله ورسوله ، ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولبّه ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه ، ولا يجعل مراد نفسه مقدماً على مراد ربّه . فهذا كله من عدم وقار الله في القلب ، ومن كان كـذلـك فــإن الله لا يُلقي لــه في قلوب الناس وقاراً ولا هيبة ، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم ، وإن وقّروه مخافة شـــــره فذاك وقار بُغضٍ لا وقار حُبٍ وتعظيم .
ومن وقار الله أن يستحي من اطّلاعه على سرّه وضميره فيرى فيه ما يكره .
ومن وقاره أن يستحي من أكابر الناس .

*** مواساة المؤمنين :**

المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه ، ومواساة بالبدن والخدمة ومواساة بالنصيحة والإرشاد ، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم ، ومواساة بالتوجع لهم . وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة . فكلما ضعف

الإيمان ضعفت المواساة ، وكلما قوي قويت . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعـظــم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله ، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له .

*** شرف النفس :**

قال شقيق بن إبراهيم : أُغلق بـاب الـتـوفيق عن الخلق من ستة أشياء : اشتغالهم بالنعمة عن شـكــرهـــــا، ورغبتهم في العلم وتركهم العمل، والمسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة، والاغترار بصحبة الـصـالحين وترك الاقتداء بفعالهم ، وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها ، وإقبال الآخرة عليهم وهــم مـعــــرضون عنها . قلت : وأصل ذلك عدم الرغبة والرهبة ، وأصله: ضعف اليقين، وأصله: ضعف البصيرة، وأصله: مهانة النفس، واسـتـبـدال الذي هو أدنى بالذي هو خير .

الركن الإعلامي

أخبار قصيرة

- آغا خان لصاً

اتهم المدعو (صدر الدين أغاخان) باختلاس أمــوال المهاجرين والمجاهدين الأفغان . حيث إنه يعمل منسقاً لجهود الأمم المتحدة لإعادة توطـيــن المهاجرين الأفغان ، وقد ظهرت هذه التهمة عندما رشح آغا خان نفسه لمنصب الأمين العــام للأمم المتحدة مما استدعى البحث في ملفه كاملاً وتبين أنه صرف مبالغ طائلة من أموال مـشاريع التوطين في غير ما خصصت له ، كما سبق للحكومة الفرنسية أن اتهمته باختلاس مليونين ونصف مليون من الدولارات صرفها دون أن يدرج بها كشفاً بكيفية الصرف مما يدل على صرفها في غير وجهها.

العالم الإسلامي

- ندوة فاشلة عن الديموقراطية في بيروت

عقد في بيروت بين 20-23/1/92 ندوة بعنوان المجتمع الـمدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديموقراطية ، شارك فيها حوالي 90 باحثاً ومفـكـراً مــن مختلف الأقطار العربية تحت إشراف مركز دراسات الوحدة العربية ، قدم فيها 16 بحثاً وعقب عليها 29 باحثاً يمثلون مختلف الاتجاهات الفكرية من قومية وأصولية وماركسية على حد ما جاء في الخبر . تطرق المتناقشون فيها إلى ما اسموه بالمؤسسات السلطوية والأنـظـمـة الاسـتـبدادية وأنظمة الحزب القامعة للديموقراطية وانتهاك حقوق الإنسان.. الخ

الأنباء العدد 5652

* والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم يلق الإسلاميون وما يعانونه من اعتقالات واغتيالات وسرق لجهودهم الديموقراطية ، لماذا لم يلق الشجب والإدانة على أقـل تقـديـر . لماذا لم تتطرق الندوة بما يدين تلك الجهات المناوئة لهم : لماذا ، أليسوا بشراً لهم حقـوقهم وما ذاك إلا لأنهم إسلاميون فحسب ، وإذا عرفنا بأن المركز المشرف ذو اتجاه علمانـي بطل العجب ، والشيء من معدنه لا يستغرب . وماذا قدم من سموهم بالأصوليين المشاركين في هذا المجال !!

- اهتراء منظمة التحرير

فـي انتخابـات الغرفة التجارية في مدينة رام الله فازت الكتلة الإسلامية بعشرة مقاعد من أحد عشر مقعداً ، وكانت هذه الكتلة قد عرضت على فصائل المنظمة تشكيل قائمة موحدة ولكن المنظمة رفضت وشكلت مرشحيها عن كل فصيل من فصائل المنظمة ، فكانت النتيجة أن اكتسحت الكتلة الإسلامية هذه الانتخابات .

الحياة 92/3/11

* الجدير بالذكر أن في هذه المدينة يعيش نسبة عالية من النصارى ، وهذه رسالة موجهة إلى منظمة الـتـحـريـر بالبـراءة مـنها ، وهي رسالة موجهة إلى كل من يريد إبعاد الإسلام بالقمع والقوة وأن الإسلام هو قدر هذه الأمة .

- ماليزيا تحتج على بورما للمجازر التى ترتكبها ضد المسلمين

استدعت وزارة الخارجية الماليزية سفير بورما وأعربت عن قلقها إزاء المعاملة التي تتلقاها الأقلية المسلمة هناك .

الحياة 11/3/92

* حسن من ماليزيا أن تحتج ولو بالكلام على وحشية حكومة بورما، ونـنـتـظـر مــن دول أخرى أن تقوم بنفس العمل ، إذا كانوا يفهمون بلغة الإنسانية .

- نظام كابل يطلب من واشنطن مساعدته للقضاء على (الأصولية)؟!

فـي مقابلة مع صحيفة (نيويورك تايمز) طلب نجيب الله من الولايات المتحدة مساعدته في التغـلـب عـلـى المـجـاهـديـن مما يحول دون انتشار الأصولية في جمهوريات آسيا الوسطى المجاورة...

الحياة 11/3/92

* أصبح المسلمون سلعة يتاجر بها كل نظام يريد مساعدات مالية يـضــرب الإسـلاميين ويسجنهم حتى تنهمر عليه المساعدات . ونحن نأمل من هذه (الأصولية) أن تقتلع جذور حكام كابل ومن وراءهم .

كتب -وثائق -مذكرات -إصدارات

- إلى اين تسير الجزائر : تأليف بلقاسم نابي

المؤلف وزير جزائري ســـابــق للبترول وضح في كتابه هذا الذي بلغ 500 صفحة ، أزمة البترول وتأثيرها على التنمية خـلال الحقبة الماضية في الجزائر.. حدد من خلاله الظاهرة البترولية وعلاقتها باستراتجية الدول المتقدمة وهدف إعادة تنظيم العالم من جديد،وتطرق لمشاكل البترول والغاز وخلفيات الصراع الدولي حول الأسعار بأسلوب لا يخفى المنطلـقــات السياسية التي تعكس تبرير قرارات التأميم ، وركز على خطر الاعتماد الكلي على قـطــاع المحروقات واعتبار الرأسمال البشري كقوة عاملة والاستمرار على نهج سياسة التصدير في الـوقــت الذي عجزت فيه الدولة عن تنشيط الصناعة المريضة والفلاحة العاجزة عن تلبية أدنى الاحتياجات الغذائية، والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا تكون الجزائر دولة بترولية مصدرة بينما هي اقتصادياً منحطة فضلاً عن الديون المتراكمة التي تنوء تحت كاهلها.

- أبو نضال : بندقية للإيجار تأليف : باتريك سيل

عـــن حياة رئيس حركة فتح (المجلس الثوري) المدعو صبري البنا والمعروف بأبي نضال كتب الصحافي البريطاني (باتريك سيل) كتابه الجديد متطرقاً للعمليات الإرهابية التي قام بها المذكور ومنظمته ضد بعض الأهداف الغربية واليهودية . وذكر المؤلف أن أبا نضال أو المقربـيـن إليه كانوا يعملون لصالح إسرائيل ، ولا ندري عن معلومات المؤلف ، لكن حينما يغيب الإســلام عـــن التوجه ، والدين عن الضمير فلك أن تتصور أبشع الجرائم واشنع التصرفات .

- الحرب القادمة حرب المياه والصراع العربي الإسرائيلي

تأليف : د. سمير عيسى سعد

دراســـــة علمية تدرس مشكلة المياه في فلسطين المحتلة وأطماع العدو الصهيوني في مياه الدول المجاورة وتطرق الباحث إلى المواضيع التالية : حدود فلسطين كما أقرتها الاتفاقيات الدولية ، وبيان الموارد المائية هناك ، ومشاريع المياه المنفذ منها وما هو تحت التنفيذ ، وكذلك تطور السكان في فلسطين وعلاقتهم بالمياه ، ثم الواقع المائي في الأراضي المحتلة ، وتظهر في هذا الفصل فكرة المرحلية في استيلاء العدو الصهيوني على الأرض والمياه ثم يبين بالأرقام والجداول مشاكلهم المائية نتيجة سياستهم في التوسع والاستيطان وخلص إلى أن أطماع العدو تصل إلى مياه نهري النيل والفرات ثم ختم الكتاب بخلاصة البحث وما تبين له من استنتاجات .

- اليهود والتحالف مع الأقوياء تأليف د. نعمان السامرائي

وهو العدد 32 من سلسلة كتاب الأمة التي تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية بقطر قدم لها الأستاذ المشرف بمقدمة تحليلية مطولة ويتكون الكتاب من عدة فصول هي :
1- اليهود والظواهر الغريبة (ثقة بالنفس أم غرور) و (فقدان الغربة في الحوار ، إثارة مخاوف الآخرين) و (الارتباط بفلسطين) وقانون العودة..
2- عبادة القوة والتحالف مع الأقوياء متطرقاً لبيان ذلك بنبذة تاريخية ونصوص مختارة لقادتهم وتحالفهم مع الفاشية والنازية وإيضاح عصر أدبياتهم اليهودية .
3- الاستعمار والصهيونية (الأستاذ والطالب) الاستقلال والتبعية في آن واحد والتوسعية والوحدوية والتفاوت الثقافي بين المهاجرين اليهود ثم ملحق عن الحقوق الصهيونية المدعاة في فلسطين وبيان تهافتها علمياً .
وأشار المؤلف في مقدمته إلى حقيقة هامة يريد اليهود استغلالها في سبيل استهدافهم تحطيم إرادة الخصم وهي محاولتهم بكل السبل تفريقنا وزرع الشكوك بيننا واقناع حكامنا زوراً بأن الخطر على كراسيهم يأتي من الإسلاميين وليس من إسرائيل !!!

إحصاء

- في مؤتمر (تنسيق المساعدات للدول المستقلة الجديدة) الذي عقد في واشنطن من 22-23 يناير الماضي والذي حضره 47 دولة و 7 منـظـمـــات دولـيـــة ولـم تدع له الجمهوريات المحتاجة للمساعدة أعلن الرئيس الأمريكي (بوش) أنه سيطلب مـن الكونجرس تخصيص 645 مليون دولار مساعدات للجمهوريات التي كانت تشكل الاتحــاد السوفييتي السابق ، وأعلنت اليابان تقديم 50مليون دولار ، ولم يقر المؤتمر أي مساعــدات جديدة وإنما اكتفى بإقرار بعض خطوات تنسيق المساعدات وكيفية شحنها .
- ســيـصـل إنتاج اليمن من النفط إلى 1.5 مليون برميل يومياً في نهاية العام الحالي 1992 والمعروف أن 18 شركة نـفــط مخـتـلـفـــة الجنسيات تعمل في اليمن على قدم وساق ، وأن المجلس الأعلى للشؤون النفطية والاســتـثـمـار وافــق على 12 اتفاقية جديــدة فـي مجال الاستثمار النفطي .
الخليج 4657
- قال سمحا دنس مدير الوكالة اليهودية للمهاجرين أن نقص فرص العمل في إسرائيل هو السبب الرئيس للانخفاض الكبير في عدد المهاجرين لإسرائيل حيث لم يـبـلــغ عــــــــدد الـمـهـاجـرين في فبراير الماضي سوى 500 مهاجر فقط وهو أقل معدل وقد وصل نحو 400 ألف مهاجـــــــر من الاتحاد السوفييتي السابق منذ أواخر عام 1989 مما أدى إلى إجهاد الاقتصاد اليـهـــودي ورفع معدل البطالة إلى 11% وهو أعلى معدل منذ 20 عاماً ، ووفقاً لإحصائيات للوكـالـــــة المذكورة فقد بلغ معدل المهاجرين في شهر

ديسمبر عام 1990 إلى الذروة إذ وصل إلى295.34 مـهـاجــــراً سوفياتياً وفي الأشهر الستة الماضية لم يصل العدد الشهري إلى 10 آلاف شخص بينما بلغ الشهر الماضي 237 مهاجراً .

الشرق القطرية العدد 1425

في دائرة الضوء

أي حرية تمارسها الصحافة الكويتية ؟

بعد أن عاد الكويتيون إلى ديارهم بعد المأساة التي عاشوها والتي اكتووا بنارها ، كنا نتوقع ويتوقع كل مخلص أن يتوب المبتعدون عن الإسلام إلى ربهم ، لا سيما من كان منهم يبارز الله بالمعاصي ، ومن عرف عنهم مواقفهم المتشنجة ضد الصحوة الإسلامية ، وضد الدعاة إلى الله عموماً ، لا سيما الكتاب والصحفيين وغيرهم ، لكنا فوجئنا بأن الأمر انعكس رأساً على عقب ، ورأينا الفئة المفترية عـلــى الله عادت أشرس ما تكون عداءاً للإسلام ، وأكثر افتراءاً على دعاته وأسرع سقوطاً في أحـضـــان الكفر والكافرين . وقرأنا ما تقشعر له أبدان الذين آمنوا من السخرية من الدين وشعائره كما كتب المدعو (فؤاد الهاشم في صحيفة صوت الكويت) عليه من الله ما يستحق ، وكان محل انتقاد الدعاة والعلماء في الكويت .

ورأينا (أحمد الجار الله) يفتري على الله ويـتـهـم الـدعــاة إلـى الله بمفـتـريات سخيفة لا يصدقها عاقل .

ووجدنــا صحيفة الوطن تملأ صفحاتها افتراءاً وكذباً وتزويراً ضد من دعوا إلى (إقامة هيئة لـلأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر) وجن جنونهم لهذا المشروع الخيري الكبير ، وكأنهم يعطون الـدلـيـــــل بأنه لا يصح أن يوقفوا عند حدهم وألا يفطموا على ما ألفوه من باطل وانحراف ، ووجدنا من يدعو إلى الاعتراف بالعدو الصهيوني بدعوى أنه لم يفعل بهم كما فعل (مجنون العراق) وشنوا حملات ظالمة ومفتراة على الجماعات الإسلامية التي كان لها موقف معين ووجـهـــة نظر رأوها حيال تلك الأزمة التي مرت بالمنطقة فدعوا إلى مقاطعتها وشنعوا على قادتها واعتبروهم أبعد من العدو الصهيوني نفسه .

نعم إن للحرية الصحفـيـة دورها في كل مطبوعة لكن أن تصل الحرية إلى الكفر البواح وإلى الافتراء بلا دليل والسخــرية من المسلّمات الشرعية المحترمة فهذا ما يجب أن يوقف وأن يكون محل دراسات علمية ونفسية لهؤلاء الكتاب الذين هم عالة على الصحافة ، وأبعد ما يكونون عن رسالتها الشريفة، ولـقـــد تطرق نفر من الدعاة إلى الله إلى دراسة هذه الظاهرة وتحليلها وبيان منزلقاتها أمثال (الشــيخ سلمان بن فهد العودة) في درسه

(هشيم الصحافة الكويتية) الذي نشرته مجلة المجتمع مسلسلاً ابتداءاً من العدد 985 وما بعده .

لكن ما يمكن قوله في هذه العجالة :

1- أن أولئك الكتاب الذين أخرجوا ما في بواطنهم من غل هم أناس مشبوهون ولهم سوابق في الانحراف الفكري ، والقراء يعرفونهم قبل الأزمة .

2- إنـهـــــم جهلة بالدين الذي ينتسبون إليه لا يعرفون منه سوى ما يعرفه العوام أما أن يعرفوا أصولـــــه وآفاقه وحلوله لمشكلات العصر فهم أبعد الناس عن ذلك وفاقد الشيء لا يعطيه .

3- اتهامهم للإسلام ودعاته ، وتكرارهم لما يقوله أعداؤه يدل دلالة أكيدة على أنهم عملاء سواء عرفوا أم جهلوا، وإلا لـمــاذا يتبنون طـروحــــات الأعداء حتى صارت كالإعلانات المدفوعة الأجر .

4- الموقف حيال تلك الاتجاهات الشائنة للإسلام ودعـاتــــه هو مقاطعتهم ولقد أحسنت الجمعيات التعاونية بالكويت صنعاً حينما قاطعت تلك الصـحـيـفـــة التي تبنت آراء ذلك الكاتب المشبوه ضد الإسلام حتى اعتذرت الصحيفة عما نشرت على لسانه .

ولابد من المقاطعة لتلك الصحف المشبوهة فإنها ستصاب بالسكتة القلبية من جراء مقاطعتها حتى تتأدب مع الإسلام ودعاته وتحترم الرسالة المفترضة فيها وهذا أبلغ علاج.

وإن من أبجديات الشكر لله على ما آلت إليه الأحوال أن يحترم دين هذه الأمة وأن يتاح المجال للكتاب المحترمين بأداء دورهم في الدعوة والإسلام ، وألا تنشر إلا كل نافع ومفيد فإن الصحيفة المحترمة تستطيع أن تجذب القارئ بالموقف الموضوعي والنقد البناء والخبر الطريف والتحقيق المفيد وطرح القضايا الحيوية التي تهم قطاعات المجتمع .

مصطلحات

الدين لله والوطن للجميع !

تتردد هذه الايام على ألسنة من يـمـارس اضـطـهـاد الـدعـاة مقولة : لا وصاية لأحد على الإسلام ، والإسلام للجميع ، كما يرددون "الدين لله والوطن للجميع" .

وقد سئل الشيخ عبد الرحمن الدوسري - رحمه الله - عن هذه العبارة فأجاب :

هذه المقالة : "الدين لله والوطن للجميع" صاغها الحاقدون عـلـى الإســلام الـذيـن رمـــوه بالطائفية بهذه الصيغة المزورة إفكاً وتضليلاً ، ليبعدوا حكم

الله ويفصلوه عن جميع القضايا والـشـؤون بحجة الوطن الذي جعلوه نداً لله ، وفصلوا بسببه الدين عن الدولة ، وحصروه في أضيق نطاق ، فأعادوا بذلك الحكم القيصري والكسروي بألوان وأسماء جديدة ، والعبرة بالمعاني من سوء التحكم والأعمال المخالفة للشرع، وعدم العدل لا بالأسماء والألقاب، فهي خـطـة شـركـيـة قلّ من انتبه لها ، ولا يجوز للمسلمين إقرارها أبداً ، ولكن غلبت عليهم سلامة الصدر فاغتروا بما يطلقه أولئك من الدجل والتهويل ويخادعون به الله والمؤمنين من دعوى تعظيم الدين والارتفاع به عن مستوى السياسة التي هي غش وكذب ، ليخدعوا به المسلمين ويخرسوهم والله لا يرضى من عباده أن يتهاونوا بالحكم ويتنازلوا عن حدوده قيد شعرة أو تنقص فيهم الرغبة الصادقة فـي تـنـفـيـــذه - بدلاً من أن تنعدم - لحب وطن أو عشيرة بل ولا لحب ولد أو والد أو أخ قريب ، فالـديـــــن الذي لله يجب أن يسيطر على الجميع ويكون أحب وأعز من الوطن وأن لا يتخذ الوطـــــن أو العشيرة نداً لله ويعمل من أجله ما يخالف حكم الله وتبذل النفوس والأموال دون كــيــــان العصبية القومية في سبيل الوطن لا في سبيل الله لإعلاء كلمته وقمع المفتري عليه بل لتعـزيـــــز المفتري عليه ، فهذه وثنية جديدة أفظع من كل وثنية سبقتها ، إذ يعملون تحت هذا الشعار الوثني ما يشاؤون ويخططون لحياتهم الوطنية تخطيط من ليس مقيداً بشريعة ربه وكونها أفظع من كل وثنية هو لمزيد فتنتها وإخراجها للناس بهذا الأسلوب الذي صاغته (أوربـــــــا) هروباً من حكم الكنيسة والله يقول : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن تُطِيعُوا الَذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُـــمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ)) ويقول : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إيمَـانِكُمْ كَافِرِينَ..)) وقد عملوا منذ زمن طويل على ذلك حتى كـسـبـــوا بعض أولاد المسلمين فنفذوا لهم هذه الخطة التي طوحوا بها بحكم الإسلام بحجة أقلية نصرانية انتحلوا هـــذه النحلة وعطلوا دعوة الإسلام وأوقفوا زحفه إرضاء لهذه الأقلية وإغضاباً لله بينما هــي تزحف بالدعاية النصرانية وبث الإلحاد على حساب المسلمين وفي عقر بيوتهم وجـعـلـوا الحكم لغير الله وأباحوا من أجلها ما حرم الله بإقرارهم له وإعفاء مرتكبه مـــن العقوبة ليشهدوا لهم مع تلاميذ الأفرنج من أبنائهم أنهم متحررون أكفاء للحكم .

العنصرية والديموقراطية الأوربية في الميزان

د. أحمد عجاج

لم يكن يخطر أبداً فـي بال عائلة سعدو اللبنانية التي هربت من جحيم الحرب الأهلية في لبنان بأنها ستواجه مأزقاً بعد اليوم. فقد حطت رحالها أخيراً في

بلدة هنكس الألمانية على نهر الراين، وشعرت للـمــرة الأولى منذ سنوات بالأمان والحرية . ولكن لم يكن هذا الشعور إلا وهماً وسراباً. ففي مـنـتـصـف لـيـل الخامس من اكتوبر الماضي ودون سابق إنذار اشتعل منزلها وأصيبت طفلتاها اللتان لم تـتـجـــاوزا بعد سن السادسة والثامنة بحروق خطيرة إثر هجوم قامت به العصابات النازيـــة الجديـــــدة بالقنابل الحارقة عليها .

وسبب الهجوم بسيط جداً وهو أن تلك العائلة لا تنتسب إلى الجنس الألماني العظيم !

وعائلة سعدو ليست إلا واحدة من عدة عائلات تـعـرضـــت إلى ما هو أفظع وأشنع من ذلك بكثير علــى يد تلك المجموعات النازية الجديدة التي تطــالـب بتطهـيـر ألمانيا من الغرباء الذين يشوهون منظرها ويزيدون أعباءها.

إن تـصــاعد الخطاب العنصري في ألمانيا وغيرها من البلدان الأوربية ليس بحد ذاته حدثاً عابراً أو أمــــراً عارضاً بل هو يلمس جوهر السياسة الأوربية الجديدة في تعاملها المستقبلي مع الأقليات الـمـوجــــودة على الأراضي الأوربية . ففرنسا تجد نفسها أمام تصاعد نجم العنصري "ماري لوبان" وألمانيا تقف عاجزة أمام موجات العنف التي يشنها المتطرفون ضد الأقليات واللاجئين من العالم الثالث، وبريطانيا تعرب عن قلقها إزاء تصاعد نشاط الجبهة القومية البريطانية، وســويـســـرا درة الـغــرب تحاول أن تتجنب تلك الموجات العنصرية المشينة .

وأوربا تعيش الآن مرحلة خطيرة من تاريخها الحديث الذي لا يختلف بنتائجه وآثاره عن تلـك المرحلة المظلمة التي استساغت فيها أوربا استبعاد الشعوب واستغلال طاقاتها معتمدة على تبريرات واهية ترتكز إلى اللون والدين ودرجة التمدن. فالـحـمـلـــة العـنـصـــرية ضد المهاجرين ، أي اللاجئين كما يطلق عليهم ، بلغت مرحلة خطيرة جداً إذ أصبح مـعـهـــا المهاجرون غير آمنين حتى في بيوتهم وبحاجة دائمة لحماية من الشرطة. وتزامنت الحملة هذه مــع تـزايــــد البطالة وتدهور الوضع الاقتصادي وتدفق أعداد هائلة من المهاجرين إلى أوربا.

وتـصـاعـــد الكراهية وموجة العداء لا ينطلقان من فراغ بل يستندان إلى مبررات ومسببات عديدة تجـــد تشجـيـعـــاً وتغذية من الأحزاب العنصرية التي تعمل ليل نهار على نشر مشروعها العنصري . فالأحـزاب العنصرية لها مبادئها ومنطلقاتها الفكرية التي ترى فيها تفوقها وأفضليتها وأصالتها وســمـوهــا عــلـى بقـيــــة الأجناس البشرية . هذه الأحزاب والجماعات تتعامل مع موضوع المهاجرين من زاوية عنصرية بحتة . فهي ترى في وجودهم على أرضها تشويهاً لجمال بلادها وخطوة خطيرة نحو زوال نفـوذهـــا وسيطرتها وطمساً لحضــارتها العظيمة . ولم لا وهي تعتقد بأن أولئك المهاجرين لا يتمتعون بــأي رصـــيـد حضاري ولا همّ لهم سوى الاستيلاء على

المدن الراقية وصبغها بلونهم شأنهم في ذلك شأن البرابـرة . فأكثر ما يزعج تلك الجماعات العنصرية وجود أقليات كثيرة في مدنها الراقية مما يغـيـر مـــــن طبيعتها ونمطها . لذا يطلقون على مرسيليا الفرنسية على سبيل النكتة والتهكم بأنها "عـــــربية أكثر من الجزائر" نظراً لوجود أعداد هائلة فيها من المهاجرين العرب من شمال أفريقيا .

والخطورة لا تكمن في وجود تلك الأحزاب بل في أنها تعمل في جو من الحرية وضمن إطار الديموقراطية ، دون حسيب أو رقيب وضوابط وقيود . والحرية الممنوحة لتلك الجماعات تجاوزت الحدود الممكنة التي يمكن السماح بها في أي ديموقراطية . فقد وصل الأمر أخيراً أن تطرح الأحزاب العنصرية برامج سياسية تدعو إلى التخلص من جميع المهاجرين سواء كانوا مواطنين أصليين أم لا انطلاقاً من أن أوربا للأوربيين وأنه من غير المجدي والممكن أن يتعايش الجميع فيها. فالرئيس الفرنسي السابق جيسكار ديستان وغيره من الساسة المحترمين أمثاله لم يتورعوا عن إطلاق تصريحات عنصرية آملين من وراء ذلك أن يحصلوا على أصوات الناخبين الفرنسيين وسحب البساط من تحت أقدام الحزب العنصري الذي يتزعمه ماري لوبان . فقد صرح ديستان أثناء مقابلة أجرتها معه صحيفة الفيغارو الفرنسية الواسعة الانتشار بأن من الضروري التحرك لوضع حد لهجرة أبناء العالم الثالث مشبهاً إياها بالغزو الذي يتوجب مواجهته قبل فوات الأوان . ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل تعدى ذلك بكثير عندما أعلن رئيس وزراء فرنسا السابق جاك شيراك في احتفال حزبي عن امتعاضه من "صخب العرب وضوضائهم" ومن "روائحهم البشعة"(1) .

تلك التصريحات العنصرية والمليئة بالحقد والكراهية ساهمت إلى حد كبير في زيادة روح العداء والانقسام وغذت عنصر الأنا والاستعلاء لدى المواطنين الفرنسيين وشجعت بدورها على نمو التيارات العنصرية وبالذات الجبهة القومية الفرنسية التي بدأت تكتسب شعبية مرموقة في صفوف الشعب الفرنسي . فالجبهة القومية استطاعت أن تلعب ورقة المهاجرين واللاجئين بمهارة ودقة مما سمح لها أن تفرض نفسها على الساحة السياسية كقوة لها وزنها وقيمتها . وقد وصل الأمر أخيراً بزعيم الجبهة ماري لوبان أن يطرح برنامجاً انتخابياً يطالب فيه بطروحات تضرب عرض الحائط جميع مقومات الديموقراطية التي يتغنى بها الفرنسيون في بلد الحرية والإخاء والمساواة . والبرنامج يدعو إلى طرد جميع المهاجرين واللاجئين غير الأوربيين مباشرة بعد مرور سنة على إقامتهم في فرنسا وحظر إعطاء تاشيرات سياحية للعرب والأفارقة(2) . والتبرير المعطى هو أن الهجرة من العالم الثالث مصدر الجرائم والبطالة والتهديد للوطن الفرنسي . وينص البرنامج على منح الفرنسيين الأفضلية في السكن والوظائف وحرمان المهاجرين ، بغض النظر

عن مدة إقامتهم ، من جميع الضمانات الاجتماعية التي توفرها الديمقراطيات الحديثة لجميع المواطنين دون تمييز يرجع إلى اللون والجنس . ورغم بشاعة البرنامج فإن الفرنسيين وجدوا فيه إيجابيات عديدة ! فقد أفاد آخر استطلاع للرأي العام أن نسبة تأييد ماري لوبان ارتفعت من 18 إلى 32 بالمئة محرزاً في ذلك تقدماً ملموساً وظهوراً قوياً على الساحة السياسية(3) .
والتأييد الذي يلقاه ماري لوبان يعكس مدى التردي الأخلاقي في المجتمع حيث أصبح الجهر بالعنصرية شيئاً مقبولاً ولا يثير الخجل والحياء بل الفخر والإعجاب . فقد أصبح الخطاب العنصري مجالاً رحباً وأرضاً خصبة للتأييد الشعبي وتعزيز موقع الطامح إلى السلطة حتى وصل الأمر أخيراً بالرجل الثاني في الجبهة القومية الفرنسية برونو ميغرات أن يتسائل قائلاً : "لماذا نجهد أنفسنا في الحفاظ على أجناس الحيوانات في حين لا نلقي بالاً لاختفاء الجنس البشري من جراء الاختلاط العام بين الأجناس البشرية المختلفة" (4).
فلا غرابة إذن أن نـرى مـتـطــرفـيــن وعـنـصـريين وأعمال إرهاب وعنف ضد المهاجرين واللاجئين طالما أن الخطاب العنصري يحتل رقـعــة واســـعـة مــــن الحـيــاة السياسية والاجتماعية.. ولكن ما يدعو إلى الاستغراب حقاً هو كيف تتعايش الديموقراطــيـة مــــع العنصرية ؟ فالديموقراطية الغربية بما تتضمنه من أفكار ومبادئ تتنافى كلياً مع ما تطرحه العنصرية ، والاختلاف بينهما كبير بمقدار ما هو بين الماء والنار . فالدول الغربية بالذات تطالب دولاً أخرى باستمرار أن تحترم حقوق الإنسان وأن تنتهج المنهاج المثالي في التعامل مع مواطنيها وتتزعم دائماً المؤتمرات والمجالس الدولية رافعة الصوت عالياً باحترام حقوق الإنسان وتوفير الأمن والرفاهية للجميع دون استثناء لكن دون أن تكلف نفسها عناء النظر في ما يجري على أراضيها من حدث وخطاب سياسي . فظاهرة تفشي العداء والتطرف ضد المـهــاجرين قلما تجد تأنيباً من نخب الغرب الحاكمة إن لم تجد أحياناً تشجيعاً كما هو الحـــال في فرنسا وألمانيا . وهذه المفارقة تكشف في جوهرها حقيقة الديموقراطية التي ملأ صيتها الآفاق وانتشر في أرجاء المعمورة .
إن كـانـت الـديمـــوقراطية كما يزعم بأنها من أنجح الأدوية وأفضل الطرق لرص صفوف المجتمع وصهر طاقاته فإن نموذجها الغربي المطبق لم يحقق حتى الآن إلا نجاحاً نسبياً . وإلا لما طرح لوبان مشـــروعه ، ولما قال شيراك بأن العرب رائحتهم كريهة ولا تعرضت عائلة سعدو للحرق .
فالديـمـــــوقراطية بمثالها الغربي لا يمكن أبداً أن تنجح في توحيد المجتمع وصهر طاقاته البشرية ولم أجناسه المتنوعة في بوتقة واحدة . والسبب يكمن في كيان الديموقراطية الغربية ذاته القائم على الحرية الفردية المنفلت من كل قيد أو ضابط أخلاقي واللاهث وراء الإشباع المادي دون سواه . فإذا ما توفرت العناصر المادية ولوازمها يمكن للمجتمع آنذاك أن يعيش نسبياً نوعاً

من الأمان والاستقرار الاجتماعي . ففي الماضي غير البعيد انتجت ديمقراطية الغرب - عندما تردت الأوضاع وساءت الأحوال الاقتصادية - نازية هتلر وفاشستية موسوليني .
الثابت أن المجتمع الذي لا يتمـتع بالمناعة الأخلاقية والمثل العليا غير قادر على معايشة حقوق الإنسان واحترام الآخرين عندما يواجه انحساراً وضموراً في وفرته الاقتصادية . وهذا بالطبع ليس شيئاً غريباً لأن الـفـــــرد الذي تربى على تأليه المال والمبادرة الفردية الصرفة في الإنتاج واعتاد الوفرة والبذخ فـي الـعـيـش لا يمـكـنـه أن يتنازل عن مكتسباته برحابة صدر وابتسام . بل يتطلع دائماً إلى كبش فداء لتحميله وزر الضائقة وإنزال سخطه وغضبه عليه . وهو بسعيه هذا يتمتع بحصانة تحول دون معاقـبـتـــه لأن السلطة ذاتها بحاجة إلى دعمه ودعم أمثاله ، وترى في أعمال كهذه منفذاً للتهرب مـــن مـســؤولياتها وفشلها في إدارة البلاد . والسلطة في مواجهة أزمات كتلك ترتكز على أهمية ضمان الوحدة الاجتماعية التي لا تتحقق بنظرها إلا بتوفر عنصرين هما : الأمن الداخلي وتنفيذ مشروع الاندماج . والمقصود بعبارة الأمن الداخلي هو إقفال البوابة الأوربية في وجه الآلاف من المهاجرين الذين ضاقت بهم بلادهم وخرجوا منها قهراً أو بحثاً عن مصدر رزق جديد.
وعبارة الاندماج تتطلب من المهاجرين واللاجئين الانسلاخ عن ذاتهم وتقاليدهم استعداداً لتقمص هوية جديدة لم يعرفوها أو يألفوها من قبل. وفي كلا المطلبين تصبح الديموقراطية بلا معنى ويخسر المهاجرون واللاجئون حقوقهم الإنسانية .
فالديموقراطية والعنصرية يصعب تعايشهما معاً ، إلا أن تعيش واحدة على حساب الأخرى . إذ لا يعقل أبداً أن تحرق عائلة سعدو وتذبح عائلة رومانية أخرى دون أن يعتقل الجاني أو تغلق مراكز الجماعات العنصرية وتمنع شعاراتها التي تتنافى مع أبسط حقوق الإنسان . فالديموقراطية الحقة التي نعرفها لا تستقيم إلا إذا عاشت عائلة سعدو بأمان وسجن قاتلو العائلة الرومانية وأقفلت أبواب الأحزاب والجماعات العنصرية إلى غير رجعة .

الهوامش :

1- الحياة ، 13 كانون الأول 1991
2- Foreign Report 14 of November 1991
3- Foreign Report 13 of November 1991
4- نفس المصدر

قراءة لفكر الصحافي هويدي

خالد بن صالح السيف

مدخل

الكتابة في المراجعات والـــرد على الـمـخـالف منهجية ذات تأصيل سلفي تتجاوز هشاشة العاطفة.. وتنأى باعتدالها عـــن الاستئناس بتبدي العورات قبالة الملأ.. وتتحرى الصواب مخافة بخس الناس أشياءهم ؛ ومــن قبل تحتسبها إمـاطــة لـلأذى.. ونفـياً لخبث الفهم الفاسد في مرحلة اختلط فيها المتغير بالـثــابت.. وبخس النقل في سوت العقل.. ، ولم تعد الأولـويـات مـواطـن اتفاق.. رغم جلاء المنـهــج القرآني في الجانب العقدي؛ وبـات فـئـام يصدورن عن فهم يساري إسلامي!! وآخرون عن فهم مستنير !! وثمة فهم عقلي وعصري وفهوم آخر ما أنزل الله بها من سلطان .

وهو واجب كفائي يحقق مطالب شرعية.. "أهم المهمات: نـصـح لـلـمـخـالـف : وضـمــاد لجـراحــه ونـصـح لجـمـيـع المسلمين ، وكشف للغشاوة عنهم وحماية لقيمهم من التحلل والإدغام والدخولات وحياة الأنعام وغيرها من رواسب الخلاف الطائش . وتنقية الساحة مـــن المنكودين ، وبالتعريف عليهم ، بما خالفوا به أمر السنة والكتاب فابتدعوا وفجروا ونابذوا السنة وآذوا المسلمين . وفي هذا تحذير بالغ من الوقوع في شراكهم وحيلولة بينهم وبين ما يشتهون"(1) .

و "الـسـنة شـــاهـــدة من وجه آخر إلى مدح القائمين بهذا الواجب ، وأنهم هم العدول المصلحون، الغرباء، وأن عملهم من الجهاد، وواجـب الأمـــر بالـمـعـــروف والنهي عن المنكر.."(2) .

مـــا سـلـف منهجية تبدو حقيقة محضة في ممارسة أرباب منهج "أهل السنة والجماعة" المتقدمين منهم والمتأخرين سيان وفي كتابتي هذه أتطلع إليها مجتهداً وأستشرف الصواب فيها متحرياً ، والله المستعان .

الأستاذ فهمي هويدي صحافي يكتب في"الأهرام" و"العربي" و"المجلة"(*) ويعني في طرحه بقضايا إسلامية ذات بـعـــد صحفي.. مغـرق في الانتفاش ، ذو رؤية أحسبها تكونت من أمشاج رؤى احتطبها من "مـركـــز للمعلومــات" فحسب ، إن شئت فارقب ذلك في كتبه ومقالاته حيث النقول المستفيضة وإن كـــان يحـســن صــرف دلالتها بأن يلوي أعناقها أو يحرفها وفق مقتضى طرحه ، ودونك مثالاً على ذلك:

في مقالة له وسمها بـ "العقل في قفص الاتهام" كتب الآتي : "ولشيخ المجتهدين ابن تيمية كتاب كامل في "رد تعارض النقل والعقل" خصصه لمناقشة القضية من زاوية دقيقة تتمثل في السؤال التالي : ما العمل إذا تعارض الشرع -وهو المنقول إلينا من غيرنا - مع العقل ؟، في رده قال ابن تيمية: إذا حـــــدث التعارض بينهما فإما أن يجمع بينهما وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين وأما أن يردا جميعاً (أي يرفضا جميعاً) وإما أن يقدم السمع وهو محال لأن العقل أصل النقل، فـلـو قـدمــنــاه عليه كان ذلك قدحاً في العقل

الذي هو أصل النقل والقدح في أصل الشيء قدح فيه ، فكان تقديم النقل قدحاً في العقل والنقل جميعاً ، والحل يرد ابن تيمية : فوجب تقديم العقل . ثم يضيف شيخنا الجليل إن هذا الرأي بمثابة قانون كلي عند أكثر الأئمة المجتهدين الفخر الرازي وأتباعه وقبله الإمام الغزالي والقاضي أبو بكر العربي والجويني والباقلاني وهذا صحيح.." انتهى بنصه من كتابه القرآن والسلطان هموم إسلامية معاصرة(3) .
ويبدو واضحاً حدة التمويه التي يمارسها هويدي في غالب نقوله رغبة في موافقة ما يصدر عنه من هوى وإن اضطر للتقول . واحسبها في النص السابق المنسوب لشيخ الإسلام تبدو أكثر وضوحاً في هذا التجني وهويدي نفسه ربما يعي جيداً أن هذا ليس من كلام شيخ الإسلام إن لم يكن أول من يعلم ذلك.. إضافة إلى مفردات الاسلوب وعباراته ليست من أساليب شيخ الإسلام ولا من عباراته -رحمه الله تعالى- !!
يبدأ ابن تيمية كتابه - درء تعارض العقل والنقل - بعد الخطبة بقوله : "قول القائل : إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية.."(4) . وبعد أن أورد شيخ الإسلام القانون الكلي للتوفيق عند المبتدعة وهو ما نقله هويدي في مقاله السابق ونسبه إليه زوراً قال - أي شيخ الاسلام : "وهذا الكلام قد جعله الرازي واتباعه قانوناً كلياً فيما يستدل به ولهذا أرادوا الاستدلال به بما جاءت به الأنبياء والمرسلون من صفات الله وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها،.."(5) .
وجاء في مقدمة الكتاب نفسه من وضع د. محمد رشاد سالم - رحمه الله - والنص الذي أورده ابن تيمية في مستهل كتابه هو تلخيص لكلام الرازي في كتبه المختلفة في هذه النقطة.."(6) .
أحسب أن القارئ الفطن أدرك جيداً إن ما نسبه هويدي للشيخ إنما هو "قانون التأويل الكلي" لأرباب الابتداع والذي جاء كتابه الفريد في رد هذا القانون من وجوه عديدة بلغت أربعة وأربعين وجهاً .
وبعد.. فليس ثمة تعليق على منهج يفتقد إلى مسلمات الموضوعية في أمانة النقل وأستميح القارئ عذراً لهذا الاستطراد الذي ليس منه بد.. إذ أن ما سلف جزئية استليتها من منهج الأستاذ الصحافي هويدي، والذي صنف في زمن استمراء الألقاب، "كاتباً ومفكراً إسلامياً ذا مبضع يدمل به جروح الأمة في تدينها المنقوص"!! و "أزمة وعيها الديني"!!
"إذ بات قدر الكاتب الذي يعلن انتمائه الإسلامي ويصر على أن يخوض بدينه معركة التقدم أن يواجه في مسيرته ثلاث معارك في آن واحد أولها ضد الناقدين للإسلام وثانيها ضد المتربصين بالعاملين في ميدان الدعوة والثالثة مع فصائل المتدينين أنفسهم الذن امتلأت قلوب أكثرهم بالإيمان ولكن وعيهم

بحقائق الدين وأساليبه ومقاصده تشوبه شوائب عدة مما أطلقت عليه في أكثر من موضوع بالكتاب وصف: التدين المنقوص"(7).
وهو لا يكاد يتجاوز في جل كتبه وأطروحاته الصحافية الأدلجة العصرية لهموم المسلم المستنير ويعزف على ذات النغمة إياها لأرباب هذا الطرح ممن ينعتون بالكتبة والمفكرين الإسلاميين!! وهاك مفردات "قاموسه" من خلال كتابين اثنين من كتبه فحسب "التدين المنقوص" - "أزمة الوعي الديني"(*) لتكفيني مؤنة إبراز منهجه وتحديد هوية انتمائه وسقف طرحه :
** "فوجدت مكتبة المسجد عامرة بالكتب التي أفزعتني عناوينها إذ كانت هذه العناوين كما يلي : حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين - الجواب المفيد في حكم التصوير - الشفاء في أمر الموسيقى والغناء - التحذير من السفر إلى بلاد الكفرة وخطره على العقيدة والأخلاق - نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع - الضوء القرآني والسني على عقيدة النبهاني - الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية - تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد - فصل الخطاب في المرأة والحجاب - هذه نصيحتي إلى كل شيعي إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين"(8).
** كتابات شيوخه شلتوت والغزالي والقرضاوي من المعاصرين وحدهم : (تعد نماذج واجبة الاحتذاء لما ينبغي أن يكون عليه موقف الفقيه في قلب هموم الأمة.."(9) .
** عقب أن استعرض كتاب البوطي "السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي" بثناء مفرط كتب "أحسنت يا أستاذنا"(10) .
** الفقيه عنده "يتجاوز دارسي العلوم الشرعية ليشمل كل من حسن إسلامه وتعمق في أي فرع آخر من فروع المعرفة الإنسانية والعلمية"(11) .
** أدى فريق المنشدين الفتيات منهم والشباب أغنية فريد الاطرش (يا زهرة في خيالي) ثم قدموا أنشودة أقرب إلى التواشيح على أنغام أغنية أخرى لفريد الأطرش أيضاً.. بعد ذلك وقفت مغنيتان في شرفة جانبية وقدمتا عدة أغنيات ماليزية بصوت رخيم على أنغام الآلات الموسيقية المحلية المتميزة . سألت لماذا فريد الاطرش دون غيره ؟ قالوا إنه هو والسيدة أم كلثوم أشهر الفنانين العرب الذين تعرفهم ماليزيا وبعدهما يأتي عبد الوهاب.. رغم أنهم لا يفهمون معنى الكلام العربي ولكنهم يتعلقون باعتباره ينتسب الى لغة القرآن ، بصرف النظر عن مضمونه..
"قلت للشاب الماليزي المتحمس إن الترويج للأغانى العربية الراقية لا يعد متعة مشروعة ومطلوبة فقط ولكنه يؤدي رسالة أيضاً من حيث أنه يجذب الناس إلى اللغة العربية ويعلمهم مفرداتها بمضي الوقت"(12) .
وبئس الميكافيلية تلك . وربما نعتت مستقبلاً بالإسلامية !!

** لا يوجد نص شرعي صريح أو واضح الدلالة في تحريم أي من الغناء أو الموسيقى على إطلاقهما وأن النبي وصحابته سمعوا الأغاني والدفوف ولم ينكروها ، ثم إن الإسلام لم يخاصم فناً لذاته سواء كان غناء أو تمثيلاً أو رقصاً فتلك وسائط لا يسع عقلاً إسلامياً أن يحكم بحلها أو حرمتها إلا إذا عرف لأي شيء وضعت للحلال أم للحرام"(13) .
** "وأستأذن في أن أعفى من الخوض في مسألة النقاب الذي تعرضت له في سياق سابق وقلت أنه مظهر شاذ ، لا يستند إلى دليل شرعي قوي ومع ذلك فلا تثريب على من تنقبت إذا استراح ضميرها الى ذلك شريطة ألا تلزم غيرها بما فعلت وألا تتهمها بنقصان في الدين أو خروج على تعاليمه"(14) .
** "تقاليد مجتمع الصحارى العربية لها دورها الذي لا ينكر أيضاً في تطويق مساحة الترويح.. ونحن نلحظ مثلاً أن بعض المذاهب المدرسية الفقهية التي تجنح إلى التشدد لم تستقر ولم يكتب لها الاستمرار إلا في البيئة الصحراوية والمذهب الحنبلي وامتداده النسبي المتمثل في التيار الوهابي لم يتجاوزا حدود شبه الجزيرة العربية كقاعدة عامة"(15) .
** "لست أخفي أن قلقاً انتابني لأول وهلة حينما رأيت كتاب الأستاذ سيد قطب (معالم في الطريق) مترجماً الى الملاوية ومتصدراً واجهات بعض المكتبات في كوالالمبور ربما لأني تمنيت أن يطل الشاب الملاوي على مساحة الفكر والعمل الإسلاميين من نافذة أخرى أكثر رحابة وسماحة فضلاً عن أن كتاب (المعالم) ليس أفضل تعبير عن الأستاذ سيد الذي كان أكثر لياقة وأقرب إلى ما ننشد من وسطية واعتدال في كتابه المبكر (العدالة الاجتماعية)"(16) .
** "لكن المحظور الذي ننبه إلى خطره هنا هو أننا ينبغي ألا نسعى بأيدينا إلى إثارة النعرات المذهبية والطائفية سواء بين السنة والشيعة ، أو بين السلفيين والأباضية أو الزيدية أو الصوفية ، أو بين المسلمين في مجموعهم وبين غير المسلمين"(17) .
** "إذ الخوض في التاريخ لا طائل من ورائه والجدل حول رؤية الله -سبحانه وتعالى- يوم القيامة الذي تقول الأباضية باستحالته بينما يقرر آخرون وقوعه ويرون المخالفة فيه من قبيل الاجتهاد في شأن العقيدة الذي يستدل به على الضلال.. هذا الجدل يظل من قبيل الثرثرة في شأن عالم الغيب التي تضر ولا تفيد بالتالي فقد أصبح الحوار حول منابع أصول الفقه الأباضي هو الاختيار - أو الاختبار - الصحيح"(18) .
** ".. فما قيل حول العلاقة بين مذاهب المسلمين إذا كان قد حقق مصلحة أكيدة - على الصعيد الفكري - فإنه أيضاً صادف هوى(*) في نفسي من حيث أنه أحد مداخل المشروع الحضاري الإسلامي ، الذي ندعو إليه ونحلم به . هو المشروع الذي يتجاوز الحركة والمذهب والفرق ، ويطرح نفسه كصنيعة

للمستقبل ، تظلل الجميع بمختلف مذاهبهم ودياناتهم ومدارسهم الفكرية والسياسية . وإن اكن التطبيق يخضع لسنن النمو الطبيعية مبتدئاً بالوطن ومنتهياً بالناس كافة ومارا بالأمة العربية ، ثم الأمة الإسلامية"(19) .

** "كما أفسدت ملفات الماضي العلاقة بين أهل المذاهب الإسلامية وخسر الجميع الكثير بسبب ذلك الفساد"(20) .

لم أشأ أن أتعقب هذه النصوص ليقيني سلفاً أن كل من لديه أثارة من علم من صغار المبتدئين يدرك فسادها جملة وتفصيلاً ويجد فيها مواطن العبث.. ويتحسس أرضية الرؤية الهشة في تضاعيف النصوص المنقولة!!

ولنعد مرة ثانية إلى مفردات (قاموسه) من خلال كتابه الثاني (التدين المنقوص) لنبين عن هويته بلا ادعاء أو تحامل.. وأيضاً لن نتعقبها برد البتة لذات السبب المذكور تواً .

** "لسنا بحاجة إلى دليل من النقل نعزز به دعوتنا ، يكفينا دليل العقل الذي أحسب أنه لا يغيب عن ذوي الحس السليم"(21) .

** "وفي تجربة شخصية مع موظف في إحدى مصالح الحكومة نهض من مكانه بمجرد سماع أذان صلاة الظهر غير عابيء بطابور البشر الواقف أمامه حتى امتد طرفه إلى الشارع في ظل القيظ الشديد ، غاب الرجل ثلثا ساعة ثم عاد إلينا يبسمل ويحوقل بضمير مستريح ونفس راضية وعندما اعترضت على مسلكه قائلاً إن وقت الظهر ممتد حتى صلاة العصر وأن الله لا يقبل صلاة تعطل مصالح الناس نظر الرجل إلي شذراً ونعى الزمن الذي تتعرض فيه (حقوق الله) للانتقاد"(22).

** "ليس الحل الإسلامي دعوة إلى الخلافة بالضرورة وإذا كانت الخلافة هي الصيغة التي أرتآها سلف المسلمين إلا أنها لا تلزم الخلف بأي حال"(23) .

"حتى بات الأمر والنهي ميداناً تداخل فيه الحق والباطل في الوقت ذاته ، ولسنا بحاجة لأن نسترجع صفحات التاريخ (*) لنستخلص من ممارسات الخوارج - مثلاً - شواهد ندلل بها على صحة ما نقول . حسبنا الذي نشهده في زماننا باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من تخليط تم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير"(24) .

** "بالنسبة للذين يتصدون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فينبغي أن يكون معلوماً أن مسؤولية الأمر والنهي تعد واجباً (كفائياً) لا يطالب به كل فرد بذاته وإنما إذا قام به البعض سقط عن الآخرين بهذا قال جمهور الفقهاء والمعتزلة"(25) .

** "بالنسبة لموضوع الأمر والنهي ، فينبغي أن يكون مما لا مجال للاجتهاد فيه . وعند السنة والشيعة فإنه لا يجوز الأمر والنهي - حتى للعلماء - في الأمور التى اختلفت فيها آراء المجتهدين . من مثال ذلك في زماننا الاختلاط والغناء والموسيقى وغير ذلك مما ينشغل شبابنا به"(26) .

** "لماذا لا نقف مع المزيد من ضمانات الحرية والديموقراطية ما دامت النصوص لا تعارض ذلك بل تحتمله"(27) .
** إذاً ما أسهل أن يقعد الواحد في صدر مجلس أو يعتلي منبراً ولا هم له إلا أن يحذر الناس من الإلحاد والشرك ملوحاً بمختلف صور العذاب في الآخرة وما أسهل أن يجرح آخرون في إيمانهم لمجرد أن أحدهم أقام قبراً لميت أو أقسم بغير الله أو استمع لصوت الموسيقى.." .
أما النضال من أجل وقف استيراد الدجاج المذبوح أو تقصير جلابيب الرجال أو.. أو.. فذلك مما لا يحتاج إلى جهد أو فقه أو حتى شجاعة حسب المرء قدر من الفراغ وحظ من ضيق الصدر والعقل على هذه الجبهة نجد ألوفاً مؤلفة من المقاتلين مزروعة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من أندونيسيا وماليزيا إلى الجزائر"(28) .
** "استمات في دفاعه عن الهالك توفيق الحكيم وسخر من الضجة التي أثارها الشيوخ عندما بدأ الأديب الحكيم كتابة سلسلة من المقالات بعنوان (حديث إلى الله) وكتب (فضلاً عن أن الرجل أعلن صراحة في تقديمه لتلك المقالات أنه قد استشعر أن موعد لقائه بربه قد حان وأنه لن يخاطب سوى الله -سبحانه وتعالى- ولم تكن فكرة مخاطبته لله جديدة بحد ذاتها فثلث كتابات الصوفية تتوجه إليه سبحانه فيما عرف (بالمناجاة) حتى فكرة الحوار لم تكن جديدة فقد مارسها قبل الحكيم بسبعين عاماً (1913) الشاعر والفيلسوف والمتصوف محمد إقبال.. ورغم تلك الملابسات التى تجعل الأمر مقبولاً من فنان مسلم موثوق في اقتداره إذا ما كان مراعياً للغة وأدب الخطاب إلى الله فإن بعض الفقهاء وغيرهم من المزايدين والمتشيخين تلقفوا ما كتبه الحكيم وفتحوا النار عليه بدعوى الدفاع عن الذات الإلهية ، حتى تراجع الرجل عن المضي في الكتابة وغير عنوان الحديث إلى الله إلى حديث مع النفس ثم حديثه إلى القراء وهلل جمهور المشاهدين للنجاح الكبير.."(29) .
** "من يفتينا في القات : حلال هو أم حرام ؟ ربما كان السؤال متأخراً بعض الشيء لأن الفتوى أصدرها بالفعل فريق من الفقهاء فذهب البعض منهم إلى تحريمه وذهب آخرون إلى أنه حلال ولا حرمة فيه وتوقف الأمر عند هذا الحد حتى إشعار آخر ! ولست في موقفى يسمح لي بالانحياز لأي من الرأيين ليس فقط لأنني خضت تجربة فاشلة لتذوق القات في (مقيل) صنعاني ولكن لأن الذين أصدروا الحكم في القضية كانوا من الفقهاء في علوم الدين والأمر متعلق بأمور الدنيا !!(30) .
** "ومنهم من يصر على تقصير الثياب استجابة للتحذير النبوي الذي يقول بأن (ما أسفل الكعبين من الإزار فهو في النار) غير مدرك أن إطالة الثياب في زمن الرسول كانت من علامات الكبر المذموم وهو ما لم يعد قائماً الآن"(31) .

** "الاكتشاف في الأمر أن الإسلاميين تبينوا أن العلمانيين ليسوا كائنات غريبة تنفث الشر والفتنة والإلحاد.. أثبتت التجربة أن الطرفين من خلق الأسوياء والراشدين الذين تختلف وجهات نظرهم (32) .
** "ومثل العلمانيين فيه أحد علمائنا الأجلاء ، هو الدكتور فؤاد زكريا"(33) .
وهكذا - يمتح - هويدي بدلاء استنارته من قاع رؤية بائنة العوار !! يصمها تارة بالاستنارة وأخرى بالوعي.. وثالثة بالاعتدال ورابعة..و..؛ ولست ادري أي استنارة بمقدورنا أن نصنف ما قرأت تواً مما نقلناه عنه وهو قليل من كثير تطفح به جل كتبه والتي في أصلها أطروحات صحفية وأي وعي نقدّه لبوساً لأطروحاته!! أم أي اعتدال ننعت به مشروعاته الثقافية والفكرية .
وقبل أن ندير وإياكم الرحى مع هويدي في همه الشيعي(*) المـسـتـعــر بلظى التقريب لنقرأ جديده حيث راح يمارس تكريس ذات الرؤية التي يصدر عنها مع ســبـق إصــرار وترصد ليمتهن ورثة الأنبياء ازدراء ويسلك بهم فجاج الجاهلية عنوة وثمة نعوت لا تلـيـق بالسوق تأدباً فضلاً عن قادة الأمة .
أعـي جـيـداً أنـي أقـرفــت القارئ بتلك النقول بيد أنها ضرورة حتمية للإبانة عن تأصيل الاستنارة المعصرنة بوعي يـقــصــــر عـــن إدراكــه علماؤنا ويتجاوزه كثر من أرباب اليسار الإسلامي.. وصناع الليبرالية الإسلامية وأشياخ تجديد السلفية المستنيرة .
إنه التقويض من الداخل لبناء الأمة المتصدع بمـعـاول شـــــداة الحداء ذاته .
وأختم هذه الكتابة بما قاله سيد -رحمه الله- في ظلاله(34) حول قولـه تـعـالى: ((ولا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً)) وذلك لقاء السكوت، أو لقاء التحريف، أو لقاء الفتاوى المدخولة!
وكل ثمن هو في حقيقته قليل. ولـو كـــان مـلـك الحياة الدنيا.. فكيف وهو لا يزيد على أن يكون رواتب ووظائف وألقاباً ومصالح صغيرة يباع بها الدين وتشترى بها جهنم عن يقين؟! إنه ليس أشنع من خيانة المستأمن ، وليس أبـشـــع من تفريط المستحفظ ، وليس أخس من تدليس المستشهد..
والقارئ يستحضر حديث حذيفة(*) ".... قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها . قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا.. الحديث" .
واستغفر الله لي ولكم .

الهوامش :

1- الرد على المخالف من أصول الإسلام ص 38 ، لشيخنا بكر أبو زيد حفظه الله .
2- المصدر نفسه ص 28
*- وأخيراً في مجلة "الشراع"
3- الكتاب 49 ، 50 ط 1401 هـ دار الشروق .

4- جـ 1 ص 4 ط الأولى 1399 م تحقيق محمد رشاد سالم .
5- المصدر السابق ص 50 .
6- المصدر السابق ص 11 في المقدمة
7- التدين المنقوص - فهمي هويدي - ط الثانية 1409 هـ مركز الاهرام ص 7 المقدمة .
* المعتبر في ترتيب المنقول عنهما جاء كما هي في صفحات الكتابين "من حيث ترتيب الكتابين نفسيهما" .
8- أزمة الوعي الديني 19 ، 20 والمكتبة في مسجد بمنطقة الجيزة في مصر فأي فزع تثيرها كتب المنطقة بأمس الحاجة إلى موضوعاتها كما يقوله ابناؤها .
9- نفسه 27 .
10- نفسه ص 40.
11- ص 134.
12- 138
13- 139
14- نفسه 146
15- 155
16- 229 .
17- 292 .
18- 348 .
19- 356 .
20- 360 .
21- التدين المنقوص .
22- المصدر نفسه ص 14 .
23- ص 80 .
24- ص 83 .
* ضمن إطار مشروع الهوى الذي يحلم به ويدعو إليه ينعي علينا تأريخنا في سياقات دعوى التقريب بين المذاهب والفرق ويطالب بإلحاح تمزيق ملفات التاريخ وهنا يضطر إلى استرجاع صفحاته !! لإسقاط ممارسات الخوارج على الذين يحافظون على الخيرية في الأمة من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .
25- 85
26- 86
27- 113

28- 121 (أحسبك أدركت جيداً عملية الخلط المعتمد بين الشركيات واستيراد الدجاج !!)
29- 145
30- 193
31- 273
32- 273
33- 287
*- البخاري في الفتنة والمناقب ومسلم في الإمارة وابن ماجه في الفتنة
* في كتابة قادمة بإذن الله تعقب هذه القراءة لفكر هويدي نستفيض في الكتابة رداً ومناقشة على همه المستعر بلظى التقريب . علها تكن قريباً .

بل هم عنصريون

أحمد عبد العزيز أبو عامر

رفض اليهود إدانة هيئة الأمم المتحدة لهم بكون الصهيونية شكلاً من أشكال التمييز العنصري واستمروا منذ صدور قرار هيئة الأمم المتحدة بهذا الصدد في 10/11/1975 يعملون بكل جهد بغاء القرار ، حتى استغلوا الظروف الدولية التي تمخضت عما سمي بالنظام العالمي الجديد ومرحلة السلام التي طرحت وتداعى لها العرب كتداعي الذباب على الشراب ، بينما تصلب (العدو الصهيوني) ليفرض ما يريده من آراء وتوجهات منها (إلغاء القرار المذكور) وما زال يطالب بإلغاء (المقاطعة العربية) بل وإلغاء (الجهاد ضد الصهاينة) كما جاء في (خطاب شامير) في مؤتمر مدريد . وحصل إلغاء القرار بمساواة الصهيونية بالعنصرية بقرار من أمريكا كما هو معلوم ، فما قصة القرارين ؟ وهل الصهاينة ليسوا عنصريين كما يزعمون أم أن الحق والواقع أنهم عنصريون بلسان حالهم ومقالهم ؟

قصة قرار مساواة الصهيونية بالعنصرية

لم يأت القرار رقم 3379 الذي قضى بأن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية من فراغ فقد قررت هيئة الأمم شجب التمييز العنصري فيما يسمى بحقوق الإنسان ، وأكدت الهيئة ذلك حينما شجبت العنصرية القائمة على التمييز باللون والجنس والعرق.. في الدورة 22 حيث قررت الجمعية العمومية للأمم المتحدة اعتبار الفترة من 10/12/73 حتى 10/12/83 حقبة مكافحة التمييز العنصري حيث طلب من المجلس الاقتصادي والاجتماعي المنبثق عن الأمم المتحدة بأن يتولى مساعدة الأمين العام في مسؤولية تنسيق النشاطات والبرامج المضطلع بها خلال ذلك العقد على أن يقدم تقريراً سنوياً للجمعية العامة عن الحالة المختصة بهذا الشأن في نهاية كل دورة .

واســتـغـلــت الدول العربية هذا التوجه في مكافحة التمييز العنصري فاتفق على أن يتقدم مندوب الـصـومـــال بـمـشـروع القرار (بمساواة الصهيونية بالعنصرية) . ولما شعر الصهاينة بالمشروع حرص مندوب أمــريـــكــا (دانــيــال مونيان) ومندوب العدو الصهيوني (حاييم هيرتزوك) على الاشتراك مع اللجنة مع مــسـتـشــاريــن ورجال الإعلام وتمت محاولات لإفشال المشروع وإثارة الخلافات حول الجانب التنفيذي منه وصياغته إلا أنها لم تنجح . واســتـمـرت المــنـاقـشـات عــدة أيام وسط جو محموم ومحاولات استقطاب واضحة إلا أن محاولاتهم باءت بالـفـشل وصدر القرار رقم 3379 في 10/11/1975 بتأييد 70 صوتاً مؤيداً و 29 صوتاً معارضاً و 27 صوتاً ممتنعاً وغياب 15 عضواً وكان يوماً مشهوداً في هيئة الأمم إذ ثارت ثائرة ممثل العدو الـصـهـيـونــي وتـصـرف المندوب الأمريكي بصورة أكدت عمق الصدمة الأمريكية من نتيجة التصويت.. وقام مـنـدوب أمـريـكـا واحتضن مندوب إسرائيل مواسياً له أمام الوفود وأدلى بتصريحات غير دبلوماسية تــصـــور عــمـــق الصدمة(1) . وقد مارست أمريكا وإسرائيل طوال 16 عاماً ضغوطاً كثيراً لإلغاء القرار حتى تـــم لهم ما أرادوا على ضوء المستجدات الدولية فكان قرار الإلغاء الصادر في 10/6/1412 والـــذي أيده 111 دولة وعارضه 25 دولة وامتنع عن التصويت 13 ولم تشارك 17 دولة.

ومما يؤسف له أن بعض الدول العربية امتنعت عن التصويت وكأنهم لا يعرفون عنصرية إسرائيل وما يعانيه شعب عربي مسلم من مظالمها واضطهاداتها وبالفعل كان إلغاء القرار سابقة عجيبة في قرارات الأمم المتحدة وبخاصة وأن إلغاء القرار لهم يضع في اعتباره ما كان يجب على (إسرائيل) أن تتخذه من إلغاء القوانين العنصرية التي ما زالت سارية المفعول وتطبق بكل صفاقة على الفلسطينيين(1) .

لماذا هم عنصريون فعلاً

إن الصهاينة عنصريون فعلاً فهم يستقون تاريخهم في الدرجة الأولى من التوراة وهو كتاب خالطه الكذب والزيف والتضليل وامتزجت فيه الحقيقة بالخرافة والخيال فلا يعتمد عليه المؤرخ النزيه مصدراً يستقي منه معلوماته . وهم منذ وجدوا يغلفون تاريخهم بالأسرار والألغاز ! إذ أن تاريخهم كله تاريخ صراع بينهم وبين الأمم الذين يعيشون بينهم كأقليات مستضعفة ذات نشاط أوسع من إمكاناتها وأطماع أوسع من أن تحتملها تلك الأمم فلجأوا إلى أسلوب الكذب والغش والعمل في الخفاء وعرفوا بعدة أسماء فهم تارة اليهود وتارة العبرانيون وتارة الموسويون وتارة بنو إسرائيل وتارة الساميون وحاولوا دائماً هدم التوازن بين تلك الأسماء ويفضلون بأن يُدْعَوْا بني إسرائيل ليدخلوا في روع الـنـاس أنهم جميعاً من نسل ذلك النبي الكريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم لـيـصـلوا من ذلك إلى أنهم الأشرف جنساً والآصل

نسباً والأصدق ديناً ، فهم في زعمهم (شـعــب الله المختار) وإن ما عداهم من (الجيوييم) أي الأغيار ما خلقوا على هيئة الـــبـــشـــر الا ليخدموهم ويعترفوا بفضلهم ولا تعليل لهذه التصورات القاصرة إلا لكونهم يشعرون بشعور الـطـفـولة لأنهم على مر تاريخهم (2) ضعفاء مستضعفون لا وزن لهم إلا بضعف غيرهم . ويوم انـقـطـع حبل الله عنهم بما كفروا بقي لهم حبل (الناس) المعروف . وواقعهم العنصري يعرفه كل مـطلع على حياتهم الفعلية وأنا في هذا المقام لا أفتري عليهم بل أسوق الأدلة على ألسنة أشـخـــاص معروفين منهم لهم وزنهم الأدبي والفكري على النحو التالي :

أولاً / الدكتور إسرائيل شاحاك

وهـو يــهـــودي بـولـوني قدم إلى فلسطين عام 1945 وشهد نشوء الكيان الصهيوني وأنهى دراسته الثانوية عام 1951 في هرزليا في تل أبيب وأكمل خدمته في الجيش الإسرائيلي إلى عام 1953 ودرس الــكـيـمــيـــاء الــعـضـوية في جامعة القدس العبرية وحصل على شهادة الأستاذية عام 1963 وأكمل الـتـخــصــص فـي جامعة (ستانفورد) بأمريكا وعاد مدرساً في جامعة القدس .

وقــد شـــارك في لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان والمواطن وساءه ما حصل من عدوان 1967 فـانـقـلـب على قومه الصهاينة وبدأ نضاله ضد كافة مظاهر الظلم والعنصرية لديهم . وألف كتابه (عنصرية إسرائيل : بالوثائق والأرقام والأسماء)(3) ويمكن إيجازه فيما يلي :

1- الكيان الصهيوني دولة يهودية وحسب واليهود وحدهم الشعب المختار .
2- اليهود في الحقوق المدنية أصحاب الحق ويخضع الفلسطينيون لنظام ظالم يستند إلى القوانين الاستثنائية التي سنها الانتداب الإنجليزي عام 1945
3- الأسس الأيديولوجية والقانونية التي يقوم عليها الكيان الصهيوني تضعه حتماً في خط نازي لا يقل وحشية عن نازية هتلر .
4- تهويد الأرض والبشر شرط أساسي ونتيجة محتومة للتضييق على الناس وتهجيرهم ومصادرة كل ما لديهم باسم الأمن القومي والمصلحة العليا .
5- يتغنون بالسلام ابتزازاً وهم المتعلقون بالحروب استدراراً للأموال من الخارج وقد تطرق في الـكـتــاب لـجـرائم الصهاينة ضد الفلسطينيين بالحقائق والأرقام وفضح أوضاع السجون ومــعــانـــاة مــرتــاديـهـــا وكذلك القرى المهدمة التي قامت بها إسرائيل وصوراً من المعاناة والاضطهاد والتمييز العنصري حتى من اليهود أنفسهم وخاصة السود منهم والقادمون من أوربا الشرقية والكتاب بالفعل يكشف وجه إسرائيل العنصري بكل بشاعاته.

ثانياً / جدعون جيلادي :

وهو يهودي شرقي عاش طـفـولته وشبابه في فلسطين وشهد مرحلة التقسيم وسيطرة اليهود الـغـربــيـيـن (الاشـكـنـــاز) على الحكم وبعد تأسيس

دولتهم كان شاهد عيان لما أقدم عليه الصهاينة من مذابح وطرد جـمـاعـــي وقهر سياسي واستيلاء على الأراضي والممتلكات من الفلسطينيين وبعد مراحل متتالية من الدراسة والبحث وجمع الوثائق ألف كتابه (إسرائيل نحو الانفجار الداخلي) (4) .

يقول في المقدمة: إن الكتاب دراسة تبرز اتجاه الحكومة الإسرائيلية نحو التمييز العنصري ويسوق على ذلك نـمـــوذج اليهود السوفييات الذين تدفقوا بالآلاف على الأرض المحتلة ووفرت لهم المساكن والــوظـــائف وتفرد لهم مساحات من الرأي في الشؤون الثقافية بينما يـتـعـامــلـــون مع اليهود الشرقيين (السفارديم) من أرض علوية ويبقى حظهم من التعليم والتمثيل البـرلـمـاني والوظائف العليا والنقابات المهنية والمؤسسة العسكرية أدنى المعدلات التي يتمتع بها (الاشكناز) .. وأن العالم لم ينتبه إلى سياسة التفرقة العنصرية التي تمارس ضد (السفارديم) داخل إسرائيل للتعتيم حولها .

وهذه الدراسة مقسمة إلى عشرة فصول تطوف بالقارئ حول علاقة العرب والمسلمين باليهود منذ عهد النبوة باعـتـبــارهم أهــل ذمــة لهم حقوقهم وأثر الحضارة الاسلامية على الدين اليهودي والأدب العبري وإنكار المزاعم باضطهاد اليهود في ظل الإسلام ويخصص المؤلف فصلاً لدراسة تهجير يهود اليمن إلى فـلـســطـيــن واستغلالهم دعائياً والمعاملة المزرية التي لاقوها على أيدي اليهود (الاشكناز).. ثم يتحدث عن السجون هناك التي تشهد أبشع نماذج التعذيب والتنكيل والجدير بالذكر بأن هذا الكتاب نشر أولاً بالعربية في القاهرة وترجم إلى الإنجليزية .

ثالثاً / عوري دافيد

وكــتــابـــه (إسرائيل دولة عنصرية)(5) وهو كاتب يهودي ، بين الكاتب بأن أحد المبادئ الأيديولوجية للـحـركـــة الصهيونية منذ تكوينها حتى الآن الفصل بين المجتمع اليهودي وغير اليهودي ولذلك تـعـامـلـت مع اعداء اليهود بهدف إجبارهم على اتباع سياساتها إذ أنهم يرون بأنهم شــعــب مــكـروه وإن الطريق الوحيد هو إقامة دولة لهم واستغلت الحالة الحسنة نسبياً لبعض اليهود في الــدول الـعـربـية فبثت الرعب في قلوبهم عن طريق نسف محلاتهم لإجبارهم على الهجرة إلى الأرض المحتلة .

وانطلاقاً من مبدأ الصهيونية في العزلة باشروا بعد قيام دولتهم في تطبيق مبدئهم عن طريق تدبير المذابح الجماعية للشعب الفلسطيني وذلك لإخلاء فلسطين من سكانها وتهويدها كلياً وســاق أمــثــلـــة مــن أقوال زعمائهم من استغلالهم الحروب لطرد المزيد من الفلسطينيين وتشجيعهم العنف ضدهم كوسيلة لطردهم للمحافظة على التفوق السكاني لصالحهم وكيف أن (كاهانا) أكثر القادة الصهاينة صراحة في التعبير عن آرائه .

وذكر المؤلف أن الـكـنـيـست الاسرائيلي وافق على قانونين يحددان المستقبل السكاني لهم وهــو قــانـون (العودة 1950) الذي ما زال ساري المفعول والذي يسمح لأي يهودي في أي بقعة من بقاع العالم بالهجرة إلى (الأرض المحتلة) مع إعطائه جميع التسهيلات الممكنة .
الحق في الاستيلاء على أراض وأملاك الفلسطينيين الذين طردوا من مواطنهم بحجة أنهم غائبون عن أملاكهم وهذا القانون يجرد الفلسطينيين من أبسط الحقوق الطبيعية لأي إنسان وهو حق عيشه في أرضه ووطنه .
ثــم ذكــر الـمـؤلــف بأن من أهم النتائج السياسية للسيطرة الصهيونية هي فقدان الحرية السياسية للفلسطيـنـيين مدللاً على ذلك بما أقرته الكنيست من قانون في سنة 1980 يحق بموجبه لوزير الداخلية أن ينتزع الجنسية عن أي شخص يقوم بعمل يهدد شرعية الدولة ومن ذلك تأييد مــنـظـمـــة التحرير بأي صورة وأن هذا القانون قد يؤدي إلى طرد جميع الفلسطينيين لأن معظمهم ذوو ولاء لقومهم ووطنهم وقضيتهم .
وهكذا يتضح لكل ذي عـيـنـين بــأن الـيهود الصهاينة عنصريون فعلاً بمنطلقاتهم الدينية وايديولوجيتهم السياسية . ومن واقـــع قـوانـينهم الحاكمة التي ذكرها هؤلاء النفر منهم يتضح مدى الشكل العنصري الذي يؤمنون به ويطبقونه حتى على بعض بني عقيدتهم ممن يصنفون في فئة (السفارديم) أي الـيـهـود الـشـرقـيـين الذين هم أقل مكانة من (الاشكناز) الغربيين .

إذاً لماذا تلغى وصمة العنصرية عنهم ؟

لا شــك أن إلـغـاءهـــا لم يأت بمبرر معقول أو سبب وجيه لما سبق ذكره من أنهم لم يلغوا القوانين العنصرية التي يـحـكـمـون بـهـــا ولم ينصفوا حتى بني عقيدتهم الأقل شأناً وهم (الـسـفـارديـم) والأعــجـــب والأغـرب أنهم في إبــان مناقشة هذه الموضوع كانوا يسومون الفلسطينيين في المخيمات ســوء الـعـــذاب بالطرد والإبعاد وهدم البيوت وإخلائها لصالح الوافدين الجدد وما طرد أهل (سلوان) عنا ببعيد .
إنــهـــا مقايضة سخيفة لتتكرم بالمشاركة في السلام المزعوم! بل ولتملي شروطها. والأدهى والأمر: (طلب إلغاء المقاطعة العربية) و (إلغاء الجهاد ضدها)!!
إن (الـعـــدو الصهيوني) دولة عنصرية ليس من واقع معاملتها فحسب ؛ بل حتى كتب دينها المحرفة تؤكد هذا التوجه وتوضحه بما لا يدع مجالاً للشك ، وإصحاحات أسفارهم الدينية المحرفة في التوراة والتلمود مملوءة بالشهادات على ذلك .
وهل إلغاء قــرار وصمهم بها يمنع حقيقة عنصريتهم التي يحيونها وعلى ضوئها يعيشون .
فهم بالفعل عنصريون وإن رغمت أنوف .

فهل في وصـفـهـم بالعنصرية تجنٍ عليهم ؟! وهل إلغاء قرارِ الأمم المتحدة في ذلك يغير من الحقيقة شيئاً ؟! لا ، وألف لا .

الهوامش:

1- صحيفة المدينة المنورة العدد 8982 في 12/6/1412 هـ .
2- جذور الفكر اليهودي / داود سنقرط .
3- عنصرية إسرائيل / لإسرائيل شاحاك من مطبوعات دار طلاس - دمشق
4- إسرائيل نحو الانفجار الداخلي لجدعون جيلادي انظر (الشرق الأوسط) العدد 4552.
5- إسرائيل دولة عنصرية لعوري دافيد انظر مجلة العربي 354 .

تاريخ

كيف نفسر التاريخ ؟

د. محمد بن صامل السّلمّي

الحدث التاريخي : هو فـعل الإنسان ، بـمـا يحـمـلـه مـن أفكار وتصورات ، وما لديه من قدرات وإمكانات ، وما يعـتمل في نفسه من الرغبات والشـهــوات ، ومــن القيم والفضائل والاعتقادات في زمان ومــكــان من هذا الكون الفسيح المحكوم بمشيئة الله وعلمه وقدرته..

من خلال التعريف يـتـضح أن أركان التفسير التاريخي هي : الإنسان ، الزمـــان والمكان، الـمـشـيـئـة الإلهية.. وتفسير التاريخ هو معرفة التصور الصحيح عن هذه الأركـان وإدراكِ العلاقة الصحيحة بينها..

إن مــن يـمــلـك التصور الصحيح ويرجع إلى المصدر الحق يستطيع أن يفسر تاريخ البشرية كله ، لأن المصدر الحق (الكتاب والسنة) وضح لنا السنن التي تسير في إطارها الأحـداث، ويحكم من خلالها الأمم والدول والأشخاص..

إن هذا الكون -بما فيه الإنسان وفعله - هو خلق الله ، فلا بد من الرجوع إلى الخالق لفهم هذا الخلق ؛ وإذا رجعنا إلى الوحي المنزل من الخالق لهداية البشرية ، نـجـــد الـــســنـن واضحة ، والاتجاهات محدّدة..

ففي أول سورة من المصحف تقرأ قول الله تعالى : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)) وكل ما سوى الله عالم ، وأنت واحد من هذا العالم ، إذن أنت تنتمي إلى عوالم كثيرة فسيحة ، وأنـت مدعو إلى التعرف على رفقاء الطريق.. كيف بدءوا.؟ وكيف ساروا.؟ وإلى أي شيء انتهوا.؟ وحين تتقدم في القراءة تجد نفسك في قمة الزمان ونهايته ، الذي هو وعاء التاريخ وغايـته ومصير الجميع ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)) فما بدء الزمان ومنطلق التاريخ ؟ وكيف ســـار إلى هذا المصير ؟ وإذا ازددت في القراءة تجد نفسك أمام اختيار حاسم لسبيل واحد من بيــن سـبل مــتــعـــددة ((اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ))

فإما صراط مستقيم قد سلكه قبلك أخيار من الرسل والصديقين والشهداء والصالحين.. وإما سبل متعددة منحرفة ومتعرجة سارت فيها أمم من الـمـغـضـوب عليهم والضالين ومن قلدهم وسلك منهجهم حتى دخل جحر الضبّ وراءهم.. وأنت مــدعـــو للتعرف على ذينك الطريقين ، طريق الاستقامة والهدى ، وطريق الضلال والهوى..

وأن تعرف الأطوار التاريخية لتلك الأمم وتقلباتها ومصائرها والسنن الربانية التي حاقت بـهــا.. وأن تــعـي حركة التاريخ حتى تكون على بصيرة بمواقع خطوك وسيرك في هذه الحياة.. إنك مدعو للتعرف على الزمان بأبعاده الثلاثة : الماضي ، والحاضر ، والمستقبل القريب والبعيد..

وإذا أخذت في قراءة السورة التي تلي الفاتحة تجد في أولها الحديث عن الإنسان الذي هو فاعل الحدث وصانع التاريخ.. وأن الناس على ثلاثة أقسام :

* الـمـؤمـنـون.. ولهم صفات واضحة محددة ، ولهم منهج وطريق ((الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّـــلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)) [البقرة 3-5] . أفلحوا لأنهم سلكوا الصراط المستقيم الذي أمروا به في السورة السابقة .

* الصنف المقابل هم الذين كفروا، وبسبب جحودهم وتركهم للصراط المستقيم فقد ختم الله عـلــى قـلـوبـهـم وعلى سمـعهم، وعلى أبصارهم غشاوة. فهذه الحواس ووسائل المعرفة لما انحرفوا بها ولم يحفظوها عاقبهم الله بأن سلبهم المقدرة على الاستفادة الصحيحة منها..

* الصنف الثالث متردد بــيـن الـصـنـفـيـن ، وهم المنافقون ، وقد أطالت الآيات في وصفهم للـحـاجـة إلى بيان حالهم حتى لا يتلبس أمرهم على المؤمنين بسبب ما يظهرون من دعوى الصلاح والاسـتـقـامة وأنهم مع المؤمنين ، وحقيقة أمرهم أنهم لضعف نفوسهم وجبنها عن مواجهة الحقيقة يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً ...

ثم يأتي الحديث في السورة عن أصل البشر وبداية خلقهم وسبب خروج أبيهم من الجنة وإسكانه الأرض ، وما طلب من ذريته ، ويتكرر الحديث عن هذه المسألة في سور أخرى حتى تتضح بداية التاريخ ، ولا يكون الأمر معمي عن الناس فتتلاعب بهم الأهواء والظنون والأوهام ، والحفريات والآثار والاجتهادات القاصرة .

ثم يدعوك ربك وخالقك إلى وعي التاريخ وأحداثه ، قال تعالى : ((قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَـسِـيـرُوا فِي الأَرْضِ فَـانـظُـــرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ)) [آل عمران 137].. والسير في الأرض على نوعين :

* نوع أفقي على امتداد الزمـــان والمكان لمشاهدة الأحداث والآثار ، وأخبار الأمم وتقلبات الأحوال بهم ، ورؤية المـصــائــر التي انتهوا إليها ، أي النظرة

الشاملة إلى مسار التاريخ الإنساني كله ؛ هذا السير نوع من المشاهدة الفاحصة والملاحظة الواعية والمقصدة ، وليس مجرد الاستقبال السلبي التكراري لصور الأحداث وتعاقبها..

* ونوع يتجه نحو العمق ، ويتمثل بالتبصر الواعي بالكيفية التي حدثت بها الأحداث ، والبحث عن الأسباب والدواعي والنتائج القريبة والبعيدة ، وهو الموجه إليه بقوله ((فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ)) فالنظر المطلوب هنا هو بالبصائر والعقول ، وليس بالعيون الباصرة فقط.. ولذا نعى المولى على الذين لم يستخدموا ما وهبهم من وسائل وقدرات فقال : ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ)) [الحج 46] . بل هم يوم القيامة يعترفون حين يرون الحقيقة ماثلة أمامهم بأنهم لم يسمعوا ولم يعقلوا وإلا لما وصلوا إلى هذا المصير ((وقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) [الملك 10-11] .

إن القصص القرآني عن الأمم السابقة والرسل المرسلين إليهم هو الذي يبين لنا مجرى التاريخ البشري منذ فجر البشرية الأول وحتى حاضرها ومستقبلها ونهاية تاريخها ومصيرها بعد الحياة الدنيا.. ومن خلال السنن الربانية في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - نفهم التاريخ ، ونفسر أحداثه ، ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والبقاء، وعوامل الهدم والخوف والسقوط والتدمير؛ وأن هذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك؛ فإذا أتى الإنسان بالأمر واجتنب النهي ووقف عند حدود الله، أصاب خير السنة الربانية... وإذا أهمل الأمر وخالفه وارتكب المنهي عنه ووقع في حدود الله أصاب شر السنة الربانية..

قال تعالى: ((إنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) [الرعد 11] . وقال تعالى:((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) [الأنفال 53] .

وقال تعالى : ((أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [آل عمران 165] .

هذا هو المنهج الذي يفسر به تاريخ البشرية كلها : الوزن بميزان العقيدة والإيمان... ((قَدْ جَاءكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ومَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ومَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ)) [الأنعام 104] .

منتدى القراء

يا دعاة الحق متى تتوحد كلمتكم ؟

عبد الرحمن عبد الله العيد
سؤال حيّر ألباب الغيورين، وعبارة أسهرت مقل الملايين من المسلمين.نعم قد يكون الجواب كلمة وقد يكون سطراً ولكن الجواب الحقيقي هـو البدء، هو العمل، هو الفعل، هو النتيجة لماذا لا يجيب على هذا الاستفهام دعاتنا الأجلاء من شتى بقاع الأرض من أي تربـة كانوا وفي أي أرض سكنوا .
إنـــه الاختلاف الشاسع في كثير من المناهج، إنــه الـتـبـنـي لـلآراء الفــردية وترك الآراء الجـمـاعـية ، إنه العزلة الحقيقية في التفكير، إنها النظرات القريبة جداً أو البعيدة جداً.
فـيـا أخـــي الداعية، أيها المسلم الواعي أينما كنت: وحَّد الهدف مع إخـوانــك تـتـوحد الـكـلـمـات . اتَّبع المنهج الصحيح في دعوتك تتقارب الأفهام ، كن مجموعة ولا تكن فرداً تتجلى لك الأمور، كن حذراً في الشبه قوياً في الحق منصفاً في الأحكام ، عادلاً في الميزان، مقتصداً في القياس، حاذقاً في الاجتهاد، تستطيع السير قدماً بكل وضوح ورسوخ..

يا قادة الأمة :

يـا ورثة الأنبياء والله إن نفوسنا تتوق إلى جواب فعلي عملي فكثرة الورق ملأت مكتباتـنـا، وكثرة الكلام ميزة تمتاز بها مجالسنا ، فنحن بأمس الحاجة إلى رجل تمشي ، ويد تأخذ وتعطي ، وفعل ينفذ ، ونتيجة تُذهب عن قلوبنا غبار اليأس ، ولا يأس من وعد الله .

مختارات

أحمد باشا الجزار(*)

من كتاب :

أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر الهجري
للشيخ : محمد جميل الشطي ص38

ذكره الجبرتي في تاريخه المشهور، قال ما خلاصته :
هو الوزير الكبير ، والدستور الشهير ، أحمد باشا ، المعروف بالجزار ، البشناقي الأصل. حـضـر إلـى مــصــر فـي خدمة علي باشا حكيم أوغلي أيام ولايته الثانية سنة 1711 هـ (1757م) ، واستأذن مخــدومه إلى الحج ، فأذن له. ولما رجع وجده قد انفصل عن ولاية مصر ، وسافر إلى الديار الرومية ، فاستمر المترجَم بمصر ، وتزيى بزي المصريين ، وخدم علي بيك (بلوط قبان)، وتعلم الفروسية على طريقة الأجناد المصرية ، وقلده المذكور ولاية البحيرة، وأرسله بتجريدة إلى عربانها، فذهب إليهم، واحتال عليهم، وجمعهم في مكان ، وقتلهم - وهم سبعون كبيراً - وبذلك سـمـي الـجــزار . ورجــع فأحبه علي بيك لنجابته وشجاعته . وتنقل عنده في الخدم والمناصب ، ثم

قلده السنجقية، وصار من جملة أمرائه، ثم كــان ما كان بينه وبين مخدومه.. فتنكر وخرج هارباً في صورة شخص جزائري، وسار إلى الاسكندرية فالروم، ثم رجع إلى البحيرة ، وتزوج هناك . ثم سار إلى بلاد الشام فاستمر فيها بين محاربات وتنقلات، واشترى مماليك، واجتمع لديه عصبة، واشتهر أمره في تلك النواحي .

ولم يزل على ذلك إلى أن مات الظاهر عمر في سنة 1189 م - 1775 م ووصل حسن باشا الجزائري إلى عكا ، فطلب من يكون كفؤاً للإقامة بحصنها ؛ فذكروا له المترجَم، فاستدعاه وقلده الوزارة ، وأعطاه الأطواخ والبيرق، فأقام بحصن عكا، وعمّر أسوارها وقلاعها، وأنشأ بها البستان والمسجد ، واتخذ له جنداً كثيفاً واستكثر من شراء المماليك ، وأغار على تلك النواحي ، وحارب جبل الدروز(1) مراراً، وغنم منهم أموالاً عظيمة، ودخلوا في طاعته ، وضرب عليهم وعلى غيرهم الضرائب،وجبيت إليه الأموال من كل جهة حتى ملأ الخزائن وكنز الكنوز ، وصار يصانع أهل الدولة ورجال السلطنة ، ويتابع إرسال الهدايا والأموال إليهم ، فقلدوه ولاية الشام ، وولى على البلاد نواباً وحكاماً من طرفه وطلع بالحج الشامي مراراً ، وأخاف النواحي ، وعاقب على الذنب الصغير بالقتل والحبس والتمثيل ، وقطع الآناف والآذان والأطراف ، ولم يغفر زلة عالم لعلمه ، أو ذي جاه لجاهه ، وسلب النعم عن كثير من ذويها واستأصل أموالهم ، ومات في سجنه ما لا يحصى من الأعيان والعلماء وغيرهم ، ومنهم من أطال حبسه سنين حتى مات ، وكاد البلاد وقهر العباد ، ونصبت الدولة فخاخاً لصيده ، فلم يتمكنوا من ذلك ولم يسعهم إلا مسالمته . ومسايرته ، وثبت قدمه ، وطار صيته في جميع الممالك والثغور ، وراسله ملوك النواحي ، وراسلهم وهادوه وهابوه ، وبنى عدة صهاريج ، وملأها بالزيوت والسمن والعسل والشيرج والأرز وأنواع الغلة ، وزرع في بستانه أصناف الفواكه ، وبالجملة فقد كان المترجَم من غرائب الدهر ، وأخباره لا يفي القلم بتسطيرها ، ولا يسعف الفكر بتذكارها ، ولو لم يكن له من المناقب سوى استظهاره على الفرنساوية وثباته في محاربتهم أكثر من شهرين لكفاه ذلك ! وكان يقول أنا المنتظر ، وأنا أحمد المذكور في الجفور . ولم يزل على حاله حتى توفي على فراشه ، وذلك في أواخر سنة تسع عشرة ومائتين وألف . انتهى كلام الجبرتي .

وترجمه العلامة السيد محمود أفندي الحمزاوي في مجموعة له فقال ما مختصره :

صار المترجَم والياً بدمشق أربع مرات : الأولى سنة 1198 هـ - 1784م وبقي سنتين ، ثم عزل وتولى ثانياً سنة 1205 هـ - 1790 م واستقام خمس سنوات على حال غير مستقيم من قتل وسلب وأجرام عظيمة ، ثم عزل وتولى ثالثاً سنة 1313 هـ - 1799 م وكانت العساكر الفرنساوية مستولية

على مصر ، فوردت الأخبار بأنهم توجهوا إلى السواحل وأخذوا يافا وغزة ، والجزار إذ ذاك في عكا ، فعقد الرؤساء والوجوه في دمشق مجلساً قرروا فيه جمع العساكر وإرسالها معونة لأهل السواحل ، وكان إذ ذاك غلاء عظيم ، فجعلوا كلف الذخائر على تجار الصابون خاصة ، فبلغ المجموع من ذلك مقدار مائة وخمسين ألف قرش ، وفي اليوم الثالث توجهت العساكر من دمشق ، وقدرها أربعة آلاف ، وذلك في 20 شوال من السنة المذكورة ، ثم لحقت بهم التيمارلية وبعض الغربية ، وانقسم الجميع إلى فرقتين : فرقة توجهت إلى جهة صفد ؛ وفرقة توجهت إلى السكة نحو الجسر ، فقصدتهم أناس من العساكر الإفرنسية ، ففروا بعد أن قتل عدة منهم ، وعادوا إلى دمشق ، وصارت العسكر الشمالية ترد على دمشق من جميع الأقطار ، حتى غلت الأسعار ، وكثر الجور والفساد ، وخربت القرى من سوء إدارة الرؤساء . ثم وردت الأخبار بأن الجزار محصور ، وما زالت الأخبار تتجدد كل يوم بما وقع ، والعساكر ترد على الشام ، والمفاسد على ساق ، إلى أن ورد كتاب من قبل الجزار بأن الإفرنسيين جلوا عن عكا ، كما وردت الأخبار بأن مصر استُرجِعَت منهم قهراً ، وفي 26 ربيع الأول سنة 1412 هـ (27/8/1799) وصل يوسف باشا الصدر الأعظم إلى دمشق ، فاستقصى أصحاب المفاسد ، وأعدمهم الحياة وسعَّر الغلال وغيرها ، ومهد الأمور . وفي أثناء ذلك ورد معروض من الجزار إلى الصدر المشار إليه يشعر باستقالته من ولاية دمشق ، فقبل استقالته . ثم إن الجزار تولى دمشق رابعاً سنة 1218 هـ (1803م) وهو في عكا ، فأرسل إلى دمشق تعريفاً بذلك صحبة المفتي أسعد أفندي المحاسني ، وبعد تلاوته أخرجت الأوامر الصادرة منه ، فإذا أحدها بتعيين قائم المقام فجرى إيجابه ، وإذا أوامر أخرى بالقبض على عبد الرحمن أفندي المرادي (المفتي السابق) وجملة من الرؤساء والوجوه ، فسجنوا في القلعة ، وفي غيرها ، وكتب للجزار بذلك ، فحضر الجواب بعد ليلتين بإعدامهم الحياة ، فقتلوا عبد الرحمن أفندي والدفتردار حسن أفندي ليلاً ، ثم قتلوا جملة ذوات معتبرين (ولعل منهم المفتي أسعد أفندي المقدم ذكره كما هو مشهور) وبادروا بسلب أموال الأهالي بدون حق ، وحملوا التجار أغلب الأثقال ، فقد كانوا يهددونهم بالضرب والتعذيب حتى يدفعوا المطلوب منهم ، وعظم الأمر على أهالي الشام ، إذ أرسل من عكا أشخاص من الأكراد لتنويع العذاب على الأهالي بالنار والكعاب يضعونها في مصادغ من يريدون تعذيبه وهي محمية ومربوطة بالسلاسل (*) ، وأمثال ذلك كثير ، واستمر الحال على ذلك إلى افتتاح محرم الحرام سنة تسع عشرة ومائتين وألف (11/4/ 1804 م) . وفيه وردت الأخبار بموت الجزار ، فتوجهت الناس إلى القلعة ، وأخرجوا الذين حبسوا من أجل المال ، ثم تتبعوا أعوان الجزار فقتلوهم ، وتفقدوا الأكراد الذين وكلوا بعذاب الناس ، فعثروا عليهم في قرية "التل" فأحضروهم

وعذبوهم بمثل الأنواع التي عذبوا بها الناس، ثم نتفوا لحاهم وقتلوهم شر قتلة . انتهى كلام السيد الحمزاوي .

وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه بما خلاصته :

ولد المترجَم في بوسنة سنة1135 هـ (1723م) ولما بلغ 16 عاماً ارتكب أمراً فظيعاً، فهرب إلى القسطنطينية ، وقضى بها مدة وهو في ذل وفاقة ، إلى أن باع نفسه في سوق النخاسة، وآل به الأمر إلى أن بيع في مصر ، فدخل في سلك المماليك المصرية ، وساعده الحظ على المرام والأمنية، حتى صار والي البحيرة، وهناك لقب بالجزار، وكان مجبولاً على الفظاظة والقسوة ، مطبوعاً على الفسوق والآثام ، سفاكاً للدماء يفعل ما يشاء ، قد اتخذ هواه هادياً ونصيراً، وعتا في نفسه عتواً كبيراً، ثم ساءت سيرته في مصر فهرب إلى سـورية، ودخل دير القمر سنة1185 هـ (1771م) ملتجئاً إلى الأمير يوسف الشهابي والي جـبـل لـبـنـان حينئذ ، فرحب به الأمير وأكرمه ، ثم أرسله إلى بيروت ورتب له بعض الرسوم ، فأقام أياماً ثم أعرض عن ذلك، وسار إلى دمشق. وفي سنة 1187 هـ (1773م) جـعـلـه الأمـيـر المذكور متسلماً من قبله على بيروت، وجعل معه طائفة من المغاربة ، ولم تمض مدة حتى خـان الأمـيـر وعـزم على مبارزته، فشرع في ترميم الأسوار وهيأ الميرة وآلات الحرب للحصار، ومنع أهل البلاد من دخول المدينة، ولم يدع شيئاً يخرج منها، فاستنجد الأمير يوسف بحسن باشا وهو قاصد القسطنطينية ، فعاد وأخرج الجزار من بيروت ، فسار هذا بعسكره براً إلى صيدا وعددهم ستمائة ، فأرسل الأمير إليهم جماعة التَّكدِيّة ، ولما التقى العسكران قتل أصحاب الجزار أكثر النكدية ، وقبضوا على أعيانهم . ثم سار الجزار إلى صيدا ، فبعلبك ، وعظم أمره في تلك الأقطار ، ووقع الصلح بينه وبين الأمير المقدم ذكره. ثم إن الجزار صـاحـب الترجمة خان الأمير ظاهر العمر بعد أن أنعم الأمير عليه بقيادة جيشه ، فقتله بيده ، ولمـا كـان الأمـير ظاهر عدواً للدولة العثمانية أنعمت الدولة على الجزار بولاية عكا وصيدا معاً ، ثم منحته الوزارة وولاية دمشق سنة 1218 هـ (1830م) . فزاد في طغيانه من قتل الأنفس وسلب الأموال ، حتى قتل خلقاً كثيراً من أعيان دمشق ومن أفضلهم عبد الرحمن المرادي مفتي دمشق ، وأسعد أفندي المحاسني مفتيها أيضاً . واصـطـنـع للناس أنـواع الـعـذاب بآلات اخترعها له طائفة من الأكراد عاونوه على ظلم العباد، وأقروه على دعواه بأنه مجدد الوقت، وكان رئيسهم يدَّعي التصوف، ويقول: إن الشيخ الأكبر أخبر عنه في فتوحاته ! وقد ادعوا أن قتله الأنفس وسلبه الأموال ليس حراماً ، بل هو حلال حتى أكفروا علماء عصرهم المنكرين عليهم . وكان من أعوان الجزار أيضاً رجل اسمه عبد الوهاب له اطلاع في بعض العلوم ، أرسله إلى دمشق على رأس طائفة من العساكر ، وكان إليه المشورة في أمورهم ، فصار يتغالى في

قباحته وإساءته ويتلذذ بقتل الرجال وسلب الأموال ، حتى كادت تخافه الأطفال ، ومازال هذا الضال يتغالى في ظلمه حتى تحركت الدولة الفرنساوية(2) ، لدخول البلاد ، فحاصرت عكا سنة 1412 هـ (1799م) ثم قدمت مراكب إنكليزية إلى عكا لرد الفرنساويين ، فلم تمض مدة حتى رجع بونابرت بعساكره ، فصفا الوقت للجزار ، فعاد لظلم الناس ؛ بتعذيبهم بالقتل والقطع والسحل والجدع ، إلى غير ذلك من الأفعال الفظيعة والأحوال الشنيعة ، حتى صار جوره مثلاً سائراً . ولم يزل على حاله حتى هلك - قبحه الله - سنة 1219 هـ (1804م) في عكا ودفن بها في الجامع المنسوب إليه ، وعادت دمشق إيالة على حدة سنة 1220 هـ (1805م) انتهى كلام البيطار . فلعق :.ورأيت للعلامة السيد محمد أمين عابدين بيتين يؤرخ بهما وفاة صاحب الترجمة وهما قوله :

وَمَضَى بالـخـزْيِ وَبـالإِثْمِ هَلَكَ الجَّزارُ ولا عَجَبٌ
-أَرِّخ- قَـدْ كَفَّ يَدَ الظُّلْمِ وبمـهلـِكِهِ الباري عـنـا

الهوامش :

* باختيارنا هذه الترجمة ننفس عن صدورنـا قليلاً حيث إننا نختار حالة ترتبط بحالات مماثلة نعيشها في عصرنا بأكثر من سـبب ونـسـب، وتمنعنا الموانع من الكتابة المكثف عنها كما كتب هؤلاء المؤرخون .

1- المقصود : جبال الشوف موطن دروز لبنان .

* لقد تطورت وسائل التعذيب كـثـيراً عـنـد المسلـمـين منذ ذلك التاريخ إلى الآن ، ولا فخر!

2- من الطبيعي أن تستغل الدول الاســتـعـمـارية هــذه الظروف ، وهي واجدة - لا بد - طوائف كثيرة تتمنى مجيئها للخلاص من هــذه الـظـلــم المأساوي المخيَّم ، كحال كثير من المسلمين اليوم حيث عاد كثير منهم يطلبون الخلاص من أميركا وبريطانيا وفرنسا.

الصفحة الأخيرة

يا لله.. وهذا الحيف !!

عبد القادر حامد

إننا ممن يقدر مـسـؤولـية الكلمة ، ونـقـف عـنـد حــدود : (ولا تقفُ ما ليس لك به علم) ونحرص على أن نجــري على ما نكـتـب رقابة ذاتية تأخذ في حسابها العوائق الكثيرة في طريق الدعوة إلى إسلام الحق والعدالة والحرية . ومع أن هذه العوائق مما يفت بعَضُد الجبابرة ، ويحبط مساعي أصبر الناس ؛ إلا أن ثقتنا بالله - وله الحمد والمنة - عظيمة ، وأمـلـنا ورجاؤنا أن يبارك الجهد المخلص - وإن قل وتعثر- لا حدود له .

إن المسلمين أمام هذه العوائق صنفان :
* صنف ملول، ينفض يديه، وينحو باللائمة على الظروف ، ويتقاعد ويتثاقل ، وينصرف إلى خاصة نفسه .
* وصنف عنيد لا يكلّ، ويرى أن المسلم معتاد على العمل في الظروف الاستثنائية،وحياته كلها معاناة ومجاهدة ، يُسدُّ في وجهه باب ، فيفتح الله له باباً آخر ، وهكذا..
ونحن نحب ونتطلع إلى أن نكون من الصنف الثاني، الذي بمثله تقوم الحجة ، وبجهوده يدحر الباطل ، نتألم إذا حوربنا لكن لا نيأس ، ونتوجع لإعراض قومنا لكن لا نشتكي إلا لله . وعلى الرغم من عيشنا بأجسامنا خارج حدود بلادنا الحبيبة فإننا صابرون محتسبون على أن فُرِّق بين أجسامنا وأرواحنا - التي غادرناها هنــاك - هذا التفريق المُمِضَّ ، ومن حقنا على بلادنا أن نحبها،وعلى إخواننا الذين تربطنا بهم العقيدة واللسان أن نخاطبهم، فإن لم يكن حق العقيدة واللسان فحق الهوى والميل .
أأن نـصـبـنـا أنفـسـنـا لمحاربة الشعوذة والخرافة والإسراف وتبديد الثروات وموالاة أعداء الله؛ ودعونا إلى التمسك بعقيدة التوحيد ومقتضياتها ، وإلى القصد والاعتدال ، والبعد عن الغلو ، وإصلاح الخلل وترميم الداثر نحارَبُ ويشقق ما نكتبُ ، ويشطب على ما نقول ؟! يا لله وهذا الحيف !!

تمت بعون الله والحمد لله